الجمهوريـــــــة الجزائريـــة الديمقراطيـة الشعبيـــــة

République Algérienne Démocratique et Populaire

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

Ministre de Enseignant Superieur et la recherche Scientifique

جامعة 20 أوت 1955 سكيكدة- كلية الأداب و اللغات- قسم اللغة و الأدب العربي-

المتخيل الصحراوي في رواية مملكة الزيوان لصديق حاج أحمد (الزيواني)

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر تخصص: أدب جزائري

من تقديم الطالبتان :

- حسينة بريغت .
- سميرة بوشينة.

تحت إشراف الأستاذ:

– نادية رابح سيسطة

لجنة المناقشة:

الرقم	الاسم واللقب	الرتبة العلمية	الصفة
01	سفيـــــان جغدير	أستاذ مساعد (أ)	رئيسا
02	نادية رابح سيسطة	أستاذ محاضر (أ)	مشرفا
03	نعيمـــــة سعيدي	أستاذ مساعد (أ)	ممتحنا

السنة الجامعية

1443 -1444ه

2022- 2023م

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر و تقدير

قال تعالى: " و لئن شكرتم لأزيدنكم" صدق الله العظيم

اللهم لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك و عظيم سلطانك على مايسرت لنا هذا العمل المتواضع حتى خرج إلى النور ، فسبحانك لا إله إلا أنت نستغفرك و نتوب إليك.

ثم لا يسعنا إلا أن نتقدم بالشكر الجزيل إلى التي قامت بالإشراف على هذه المذكرة بتوجيهاتها و إرشاداتها الأستادة المحترمة "نادية رابح سيسطة "

كما نتقدم بالشكر و العرفان إلى كل من ساعدنا و مد لنا يد العون من قريب أو بعيد للإنجاز هذه المذكرة ، دون أن ننسى أساتدة قسم الأدب العربي الذي رسمو لنا الطريق إلى عالم البحث.

نسأل الله أن يزيدنا علما و ينفعنا بما علمنا إنه ولي ذلك و القادر عليه.

الإهداء

و أخيرا تحقق ما كان بالأمس حلما، أهدي ثمرت جهدي ودراستي المتواصلة طيلت سنوات مضت

إلى من ارتبط إرضاء الله برضاهما وقال فيهما الله عز وجل في كتابه: "واخفض لهما جناح الذل من الرحمة و قل ربي ارحمهما كما ربياني صغيرا "

إلى نبع الحنان و بسمة الحياة وسر الوجود، إلى من كان دعائها سر نجاحي أمي الحبيبة أطال الله في عمرها

إلى الذي أحمل اسمه بكل فخر واعتزاز من نزع أشواك الفشل من طريقي وعلمني وسعى وراء أحلامي أبي الغالي حفظه الله و رعاه.

إلى من كانوا لي نعم السند والعون و بوجودهم أكتسب قوة و محبة إخوتي وأخواتي كلا باسمه.

إلى خطيبي الذي ضاقت السطور عن ذكره فوسعه قلبي

إلى من أرى التفائل بأعينهم إلى براءة الكتاكيت الصغار رؤيا ، أريام ، مريم، فرح

إلى من تميزوا بالوفاء والعطاء إلى من برفقتهم في دروب الحياة السعيدة والحزينة سرت وإلى من كانوا معي وجمعتني معهم مراحل الحياة الدراسية أصدقائي

إلى جميع الأساتذة الذين أناروا لي طريق العلم وإلى كل من ساعدني في هذا العمل ولو بكلمة طيبة

إلى كل من هم في ذاكرتي و لم تخط أسماؤهم في مذكرتي أهدي ثمرت جهدي المتواضع

حسينة

الإهداء

الحمد لله و كفى و الصلاة على الحبيب المصطفى و على أهله و على من وفى أما بعد :

الحمد لله الذي وفقنا لبلوغ هذه الخطوة في مسيرتنا الدراسية بمذكرتنا التي تعد ثمرة الجهد و النجاح ، بفضله تعالى .

مهداة إلى :

من نبض فؤادي بحبهما رمز العطاء و الحنان إلى التي جعلا تعبهما و شقائهما سلما أصعد به الى قمم النجاح إلى والدي الحبيبين أدمهما الله بصحة وعافية.

إلى أجمل ما منحاني والدي من هدية إخواتي و أخواتي الأعزاء حفظهم الله.

إلى من وهبني الله نعمة وجوده في حياتي زوجي ناجي حفظه الله.

و إلى من وقفت معنا و ساعدتنا في إتمام البحث بكل عطاء الأستادة نادية رابح سيسطة.

إلى كل قسم اللغة و الأدب العربي بجامعة سكيكدة و جميع دفعة 2023 م.

إلى كل من تسعهم ذاكرتي و لم تسعهم مذكرتي ، إلى كل هؤولاء أهدي ثمرة جهدي.

سميرة بوشينة

مقدمـــــــــــــــة:

مقدمة

حظيت موضوعة الصحراء باهتمام الكثير من الكتاب، فجسدوها في كتاباتهم شعرا و نثرا، ولقد عمدت الرواية إلى العديد من المواضيع والقضايا المختلفة، التي رسمت ملامح وطموح الإنسان الصحراوي وآماله وآلامه، وصورت الوقائع والتغيرات على مختلف الأصعدة.

تعتبر الصحراء مصدر إلهام للأدباء خاصة من كان قاطنا لها، فهي منطقة مميزة بطبيعتها، وغنية بموروثها الثقافي، كما تعد مثيرا لروح المغامرة الإنسانية، ومحفزا على الإبداع الخلاق.

ففضاء الصحراء واسع تؤخذ منه الصورة الواقعية والتخيلية بشتى أنواعها، وما تحمله من بعد جمالي ودلالي لتصبح الصورة بذلك جزءا من الخيال الاجتماعي والفضاء الثقافي.

وتكمن أهمية موضوعنا فيما يلي:

- إبراز أهمية المتخيل الصحراوي في رواية مملكة الزيوان.

- إبراز مكانة الصحراء في الرواية.

- محاولة الكشف عن التراث الثقافي للمجتمع الصحراوي.

و يرجع اختيارنا لهذا الموضوع لأسباب عدة أهمها :

- ميلنا إلى النصوص السردية الروائية أكثر من النصوص الشعرية.

- نقص الدراسات الأكاديمية المتعلقة بالصحراء عموما والصحراء الجزائرية على وجه الخصوص.

- وتدور إشكالية بحثنا حول موضوعة الصحراء، والطريقة التي استحضرها بها الروائي الجزائري في روايته؟

وذلك من خلال جملة من التساؤلات الجزئية المتمثلة في الآتي:

-كيف صور لنا الزيواني الصحراء ؟

-ماهي العناصر التي عمد إلى إبرازها ،وأعطاها مساحة أرحب على صفحات الرواية؟

-هل كان ذكره للصحراء من باب سياحي بغية التعريف بالمنطقة، أم إن ذكرها جاء تبعا لما تطلبته الأحداث وحركية السرد لا غير ؟

ومن أجل الإجابة على هذه الإشكالية جعلنا موضوعنا موسوما بـ :"المتخيل الصحراوي في رواية مملكة الزيوان لصديق حاج أحمد (الزيواني)"

وتحذونا من خلال هذا البحث جملة من الأهداف، نسعى إلى تحقيقها، ومنها :

- إبراز التشابك بين مصطلحات الخيال، التخيل، المتخيل.

- التعرف على الصحراء وإبراز مكوناتها الجمالية .

- التعرف على عادات وتقاليد المجتمع الصحراوي.

عدنا . من أجل إثراء البحث . الى جملة من الدراسات السابقة التي تناولت الموضوع ؛نحو:

- المتخيل الصحراوي في الشعر الجاهلي.

- المتخيل الديني في الرواية الإفريقية تشينوا تشيبي أنموذجا.

- دلالة الصحراء في رواية "صحراء الظمأ" للخضر بن السايح

وقد اقتضت طبيعة البحث اعتماد المنهج الموضوعاتي لأنه أكثر ما يتناسب مع هذا الموضوع ،من حيث مزاوجته بين المناهج السياقية والنصية.

وجاء بحثنا وفق خطة فاتحتها مقدمة استوفت الشروط الأكاديمية، ففصل أول نظري ضمناه في البداية الحديث عن مصطلحات الخيال، التخيل والمتخيل، وبعدها انتقلنا إلى المتخيل الصحراوي متطرقين فيه إلى تعريف الصحراء ،وإبراز جماليتها من خلال الولوج إلى مكوناتها من طبيعة وعادات وتقاليد ،وكذلك الإنسان الذي يعتبر الكائن الأهم في هذا الوسط ،كما تناولنا حضور الصحراء في الأدب شعرا ونثرا، بالإضافة إلى جدلية الرجل والمرأة.

أتينا بعدها بفصل ثاني تطبيقي ،قمنا من خلاله بدراسة المتخيل الصحراوي في رواية مملكة الزيوان ، درسنا في البداية الطبيعة الصحراوية التي تحتوي على عناصر وظفها الكاتب في روايته ؛وهي :الشمس الصحراوية والرمال، النخلة، الحيوان.

انتقلنا بعدها لدراسة مجموعة من العادات والتقاليد التي وظفها الزيواني في روايته، والمتمثلة في: طقوس الولادة والختان والموت، السحر، زيارة الأولياء الصالحين، كرم الضيافة والطعام بالإضافة إلى تميزهم ببساطتهم في لباسهم وأوانهم، مسكنهم الطيني وتميزهم باللهجة التواتية، الأغنية الشعبية والأمثال.

خصصا مساحة مهمة للإنسان (الرجل / المرأة)في الرواية، كما استوقفتنا الأسطورة أيضا.

وفي الأخير أنهينا بخاتمة جاءت على مجموعة النتائج المتوصل إليها.

ولقد اعتمدنا في بحثنا هذا على مجموعة من المراجع أهمها:

- آمنة بلعلي: المتخيل في الرواية الجزائرية من المتماثل إلى المختلف

- جميلة طلباوي: الصحراء في الرواية الجزائرية البدايات النازفة والانتباه المتأخر .

ومن أجل الوصول إلى الأهداف المسطرة اتبعنا منهج ارتأينا أنه الأوفق في ذلك من حيث تقسيمنا البحث إلى فصلين متوازيين نظري وتطبيقي، كما وضعنا ملحقين السيرة الذاتية للروائي وتلخيص الرواية، وضبطنا شرح بعض المصطلحات في الهامش.

لا ننكر في الأخير مواجهتنا لجملة من الصعوبات أبرزها ضيق الوقت ،ولكن بفضل الله عز وجل تمكنا من إنجاز العمل بكل عزم وجدية .

وفي الختام لا يسعنا إلا أن نتقدم بجزيل الشكر لكل من قدم لنا يد العون من قريب أو بعيد لإنجاز هذا البحث، ونخص بالذكر الأستاذة المشرفة نادية رابح سيسطة، كما نتقدم بالشكر والتقدير لأعضاء لجنة المناقشة لكرم مناقشتهم هذا العمل.

الفصل الأول: الإطار النظري للمتخيل الصحراوي :

تمهيد

I- بحث في المصطلح.

2: تعريف الخيال .

3: تعريف التخييل .

3: تعريف المتخييل.

II- المتخيل الصحراوي .

1: تعريف الصحراء

2: الطبيعة، العادات والتقاليد

3: الإنسان (رجل ، امرأة)

III- حضور المتخيل الصحراوي في الأدب

1: الشعر

2: في النثر

3: جدلية الرجل و المرأة

الفصل الأول: الإطار النظري للمتخيل الصحراوي:

تمهيد

تعد الرواية فنا أدبيا مهما صور من خلاله الروائيون حياة الإنسان بمختلف تعالقاتها وارتباطاتها الطبيعية والثقافية والوجدانية ... إذ يلعب الخيال دورا مهما في نسج أحداثها .

وتعتبر الصحراء كنزا طبيعيا ومعرفيا وثقافيا تشكل من خلال طبيعتها المنفردة، وكل الخيرات الموجودة فيها.

وبناء على هذا سوف نتطرق في الفصل الأول للإطار النظري للمتخيل الصحراوي .

تناولنا في المبحث الأول تعريف الخيال والتخييل والمتخيل، أما المبحث الثاني تطرقنا إلى المتخيل الصحراوي ومكوناته التي تتمثل في الطبيعة والعادات والتقاليد، بالإضافة إلى الإنسان (رجل، مرأة) ،أما المبحث الثالث فدار حول حضور الصحراء في الأدب : الشعر والنثر وجدلية الرجل والمرأة.

I- بحث في المصطلح:

تتشابك مجموعة من المصطلحات من حيث دلالاتها(الخيال ، التخييل، المتخيل) و من أجل ذلك سنقف عند هذه المصطلحات الثلاث :

1- تعريف الخيال

لاشك أن الخيال ضروري في شتى تفاصيل الحياة الإنسانية، من خلال إثارة التفاعلات بين عناصر مختلفة كالأدب والفنون والعلوم، وعبر ثقافات إنسانية متنوعة، فلا ينحصر دوره في جانب معين من جوانب الحياة الإنسانية، وحتى يتجلى لنا ذلك وجب اقتفاء أثره لغويا واصطلاحا .

أولا: لغة : يتجلى مفهوم الخيال لدى ابن منظور في معجم لسان العرب باب خيل من خلال قوله: "خال الشيء يخاله وخيلا وخيلة وخالا وخيلا وخيلاتا ومخالة ومخيلة وخيلولة: ظنه، وفي المثل: من يسمع يخل، أي يظن والخيال

والخيالة ما تشبه لك في اليقظة والحلم من صورة، الخيال لكل شيء تراه كالظل، والخيال كساء أسود ينصب على عود يخيل به"[1]

كما نجده في معجم الوسيط: " خيال(مادة خ ي ل) الخيال جمع أخيلة ما يتشبه للإنسان في اليقضة أو في الحلم من صورة بسيطة أو مركبة، والخيال الشخص والطيف والخيال كل ما تراه كالظل".[2]

وفي معجم رائد الطلاب: "خيال ج أخيلة وخيلان، ماتشبه للمرء في اليقظة أو في المنام من صورة، شيء على صورة الإنسان ينصب في الحقول فتظنه الحيوانات والطيور إنسانا فتنفر". [3]

كما ورد في قاموس المفتاح :" الخيال ما تشبه لك في اليقضة والحلم من صورة ما تراه كالظل من كل شيء كساء أسود ينصب على عود يخيل به للطير والبهائم في الحقول فتظنه إنسانا ج أخيلة". [4]

ثانيا: اصطلاحا:

نجد أن مصطلح الخيال قد برز على الساحة الأدبية بالموازاة مع الحركة الرومانسية إبان القرن الثامن عشر على يد أوغسطس ،الذي كان سابقا في استعماله .

فالخيال نشاط يقوم به الإنسان بكل إبداع ،و قد يكون مبنيا على أساس رغبات الإنسان أو الواقع الذي يعيشه ،فهو القدرة على إنتاج ومحاكاة الأشياء ،والأفكار الجديدة في العقل دون أن تدخل مباشر للحواس ،وهو تكوين تجارب في العقل والخيال ضروري للإنسان لا بد منه ولا غنا عنه.

---

[1] – ابن منظور : لسان العرب : م (خ ي ل) ، دار صادر ، بيروت ، لبنان ، مج2 ، (دج) ،ط1: 1997،ص191.

[2] – عصام نور الدين: الوسيط: دار الكتاب العلمية بيروت لبنان، (دط) . (دج) : 1971.ص .191.

[3] – جبران مسعود: رائد الطلاب: دار العلم للملايين، مؤسسة ثقافية للتأليف و الترجمة والنشر ،بيروت، لبنان ، ط34 :2007 .ص 370.

[4] – أحمد بن نعمان: المفتاح : دار الأمة للطباعة و النشر و التوزيع ، برج الكيفان الجزائر دح، (دج) ، ط1: 2001، ص258 .

كما ترى آمنة بلعلي أن الخيال ليس تخيلا نزويا عابرا لا قيمة واقعية له، كما أنه ليس خيالا خلاقا كما عرفه الفنانون، بل هو طاقة وقوة ذات بعد حقيقي واقعي يسعى إلى التحقيق في الحس بشكل دائم، أبدي أزلي.[1]

فالخيال يساعد في إيقاظ العواطف الكامنة لدى الإنسان، فهو قوة داخلية نفسية موجودة في كل إنسان سليم الآليات النفسية أو العقلية، وتظل هذه القوة في حالة كمون حتى تجد ما يحثها على الخروج من الكمون إلى الظهور.[2]

أي أن الخيال قوة عقلية كامنة عند الإنسان السليم وخروج هذه القوة للظهور يكون نتيجة لمحفزات ودوافع تدفعها للخروج من كمونها.

فالخيال إذن ملكة تختص بقوة الإبداع والخلق من خلال انسجام العناصر المتنافرة وإعادة صياغة الواقع، وتشكيل صور جديدة متخيلة، حيث ينطلق من الخيال الأولي الذي يؤسس الإدراك الإنساني العلمي، فلا نستطيع – حسب رأي كلور ديج – أن نسند الوظيفة العلمية للإدراك دون أن يتضمن نوعا من هذا الخيال، فهو وسيلة وأداة لإدراك العالم الخارجي، وبالمقابل نجد أن النوع الثانوي من الخيال يدعم الأولى في وظيفته بما يقوم به من تحليل، وتركيب وتوحيد، وتأليف، وارتقاء، وإعادة تشكيل ليفرز خلقا جديدا، وهذا ما نجده ماثلا لدى الشعراء دونا عن غيرهم باعتباره أسمى طاقات الإنسان.[3]

ومنه نجد أن الخيال هو ما لا يستطيع الإنسان أن يراه في الواقع فهو عملية تعمل على تصور عدد من الصور غير الواقعية ويعد من أهم عناصر الإبداع بشكل عام.

ومن هنا يمكننا أن نتطرف إلى أحد المصطلحات ذات الجذر اللغوي المشترك للخيال (الخيل)، إذ نقف عند مصطلح يتشابه من حيث انحداره من نفس الجدر هو "التخييل "فكثير ما نجد الخلط وعدم التمييز بينهما".

---

[1] – آمنة بلعلى: المتخيل في الرواية الجزائرية من المثماثل إلى المختلف: دار الأمل للنشر والطباعة و التوزيع ، تيزي وزو، الجزائر، 2007 ص 20.

[2] – الحسن الحايل: الخيال أداة الإبداع: مكتبة المعارف، ط 1: 1408هـ 1988م، ص37.

[3] – وردة لواتي: المتخيل الديني في الرواية الإفريقية أعمال تشينوا تشيبي أنموذج، مخطوط دكتوراة ، كلية الأداب و اللغات ، جامعة 20 أوث 1955 ، سكيكدة ، الجزائر ،(2019-2020) ،ص 67 .

2- تعريف التخييل

تتداخل عدة مفاهيم مع مصطلح التخييل، خاصة أن لها نفس الجدر، ويمكن توضيحها فيما يأتي:

أولا: لغة:

ورد في لسان العرب أن التخييل مشتق من مادة (خ ي ل) وقد حمل عدة دلالات كالآتي: "خيل: خال الشيء يخال خيلا وخيلة وخالا وخيلا وخيلانا ومخالة ومخيلة وخيلولة: ظنه".

وتخيل الشيء له: تشبه، وتخيل له أنه كذا أي تشبه وتخايل، يقال: تخيلته فتخيل لي، كما نقول تصورته فتصور، وتبينته فتبين، وتحققته فتحقق، والخيال والخيالة: ما تشبه لك في اليقظة والحلم من صورة.[1]

و قوله تعالى:" يخيل إليه من سحرها أنها تسعى" [2]

كما ورد في معجم القاموس المحيط: "خال الشيء يخال خيلا وخيلة، ويكسران وخالا وخيلانا محركة، ومحيلة ومخالة وخيلولة: ظنه. وخيل عليه تخييلا وتخيلا: وجه التهمة إليه .

وتخيل الشيء له: تشبه والخيال والخيالة: ما تشبه لك في اليقظة والحلم من صورة.[3]

جاء في معجم القاموس الجديد للطلاب تخيل، يتخيل تخيلا له الشيء تشبه وتصور، يتبين من المفهوم اللغوي لمفرده (التخيل) أنها جاءت حاملة لمعاني الظن، والتشبيه. والتصور، والوهم،[4] ويبدو أن هذه المفردات تبتعد عن المعنى الأدبي الخاص بتلك الإضافة التي يمتدها الخيال للنص الأدبي.

---

[1] – ابن منظور: لسان العرب : (مادة ال خ ي ل)، (د ج) ، دار صادر بيروت، لبنان ، (دط). ص 191،193.

[2] – سورة طه. الآية 66.

[3] – الفيروز أبادي: القاموس المحيط: (د ج)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ، ط2: 2007م، ص 1010 .

[4] – القاموس الجديد للطلاب: علي بن معاوية بلحسن البلنش الجيلاني بن الحاج يحيي، (دج) ، (د م) ، المؤسسسة للكتاب، الجزائر، ط7: 1991م 411هـ، ص 179.

ثانيا: اصطلاحا

اختلف الفلاسفة والنقاد والبلاغيون العرب في تعريفهم لمصطلح التخييل كل حسب رؤيته ووجهة نظره، فإن مصطلح التخييل قديم يتداخل لحد بعيد مع الخيال، والمخيال، والمتخيل، وقد برز في الأعمال الأدبية وارتبط أكثر بالشعر.

تبدأ فكرة التخييل بأرسطو الذي يرى أن الفن محاكاة (تقليد أو تشبيه) للحقيقة التي تتجسد في الشخصيات والانفعالات والأفعال فهو يحيل التخيل على الإحساس، وينبئ قوله "إن التخيل حركة ناشئة في الإحساس بأمرين الأول: أن الإحساس والإدراك أصل التخيل، والثاني: الحركة التي تدخل المتخيلة مادته الجزئية، ثم يعرضها على عقله أو يتركها بحسب ما تحكمه فكرة القوة والضعف في ذلك. [1]

"إن ظهور مصطلح التخييل برز على الساحة العربية في القرن الرابع الهجري، وارتبط بأبي نصر الفارابي (ت 339 هـ)، حيت اعتبر أن مصطلح التخييل هو المصطلح الملائم والدقيق الذي يقابل نظرية المحاكاة الأرسطية ويضاهيها، لأن الفارابي أضاف لها من روحه وفكره، وفلسفة وأعطاها بعدا دلاليا وموسيقيا جعل من المصطلح يكتسي طابع الشمولية فالتميز الدلالي والنظمي للشعر العربي مقارنة بالأشعار الأخرى وخاصة بالشعر اليوناني هو لب وجوهر نظرية التخييل التي قدمها الفارابي ووصف بها الشعر العربي."[2]

فالفارابي لم تكن له الأسبقية إنما استند إلى دراسات في وضع المصطلح، إنما استند إلى دراسات من سبقوه وهو لم يتطرق إلى الدلالة الاصطلاحية لمفهوم "التخييل" و إنما أحال على الأثر النفسي له: «وأثره النفسي عنده، يئسه أثر المحاكاة في الفعل التمثيلي المأساوي عند أرسطو (...) وهذا يعني أن الفارابي يفهم التخييل على أنه الإيحاء، أو خلق

[1]– عدلي الهواري: بحث التخيل عند حازم القرطاجي: مجلة تقافية فصلية ، المجلد 6 ، العدد 66 ، 2011، ص 22 .

[2]– وردة لواتي: المتخيل الديني في الرواية الإفريقية أعمال تشينو تشيبي أ نموذج: أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراة في العلوم تحت إشراف أ.د.عزوز قربوع قسم اللغة والأدب العربي كلية الآداب واللغات جامعة 20 أوث 1955 سكيكدة الجزائر 2019 – 2020، ص 70.

حالة نفسية في ذات المتلقي هي قبول أو نفور" [1] فالفارابي يقرب بين التمثيل والمحاكاة من حيت وظيفتهما وأن التخييل هو غاية المحاكاة ، لم يكن الفارابي الوحيد الذي تفاعل مع نظرية التخييل، بل شهدت هذه الأخيرة دراسة من طرف العديد من الفلاسفة والبلاغيون العرب نذكر منهم الفيلسوف ابن سينا.

إن ابن سينا في تقديمه لتصوره حول "المحاكاة والتخيل والتخييل" لم يؤسس رؤية مستفردة، وإنما أضاف وطور هو الآخر ما جاء به الفارابي في طرحه، وقد ربط التخييل بالشعر: "معنى ذلك أن الإطاحة بماهية التخييل لدى الفلاسفة المسلمين لا يمكن أن تتم بصورة دقيقة وشاملة إلا باستقصاء تصورهم النظري للشعر."[2] فقد ارتبط التخييل عند ابن سينا في الأساس بالمحاكاة في الشعر وميز بينه وبين التخيل الوارد في الشعر والوارد في القصص والأمثال .

فالتخييل في الشعر وفي القصص والأمثال متباين، فالأول يسند إلى الواقع أو ممكن الوقوع، أما الثاني فهو يعتمد على اللاموجود.

كما جاء ابن خلدون موافقا للفارابي من خلال "مفهومه للتخييل على اعتبار أن المؤثر يلجأ إلى القوى المتخيلة فيعمد التصرف فيها من خلال ما يبثه فيها من خيالات وتصور".[3]غير أن ابن رشيد كان مخالفا لكل من الفارابي وابن سينا حيث نجده "قد دمج بين أنماط التخييل وأنماط التشبيه حينما اعتدها ثلاثة".[4]

وأيضا نجد حازم القرطاجني وعبد القاهر الجرجالي من بين البلاغيون اللذان اهتموا بمصطلح التخييل حيث نجد القرطاجني يشير إلى طرق وقوع التخييل في النفس حيث يؤكد الصلة الوثيقة بين الصورة الوجدانية والصورة الذهنية وهذا ما أشار إليه في "المنهاج" حينما تناول فكرة التعبير والتخيل للشيء في صورته الأولى وفي مضمونه التكويني في أولى درجات التكوين عند المحاكاة النفسية التمثيلية الوجدانية (...) مما يؤكد على عملية التصوير الوجداني وطبيعة

[1]– محمد عزا: المصطلح النقدي في الثراث الأدبي العربي: (دط)، دار الشرق العربي ، بيروت ، لبنان، (دت)، ص 178.

[2]–آمنة بلعلى: مرجع سابق، ص 17.

[3] –أنظر وردة لواتي: المرجع السابق، ص 72 .

[4]– المرجع نفسه ص 72

الفعل المحاكي (...) يقول حازم القرطاجني موضحا مراحل التصوير عن طريق التخييل (...) "كل شيء له وجود خارج الذهن فإنه إذا أدرك حصلت له صورة في الذهن تطابق ما أدرك فيه عبر عن تلك الصورة الذهنية الحاصلة عن الإدراك اقام اللفظ المعبر به هيئة تلك الصور الذهنية في إفهام السامعين وأذهانهم..."[1] والمتأمل في هذا القول يجد أن الصورة الأولى للمادة أساسها التخيل الوجداني وأن البحث في التالية يستدعي استنفار الذهن .

وعليه فإن التخييل انفعال ينتجه من الذهن دون وعي ،وذلك عن طريق الاستجابة للصور الفنية فتقبله النفس أو تنفر منه ،وبالتالي فالتخييل يعتبر حلقة وصل أو ربط بين الشاعر والملتقي فتتولد عنه عدة تصورات جديدة حول العالم والأشياء.

3- تعريف المتخيل

أولا: لغة

ورد في لسان العرب ابن منظور مادة "خيل بمعنى خال الشيء يخال خيلا وخيلة وخالا وخيلانا ومخالة ومخيلة وخيلولة: ظنه، وفي المثل من يسمع يخل، أي يظن، فالمتخيل هنا مرتبط بالمظنة هي الإيهام بالشيء ".[2]

أما في معجم "أساس البلاغة للزمخشري أن" خ ي ل " فيه خيلاء ومخيلة وهو يمشي الخيلاء وإياك والمخيلة وإسبال الإزار. واختيال في مشيته وتخيل... وخايله، وتخايلوا تفاخروا... وأخطأت في فلان مخيلتي أي: ضني. ورأيت في السماء مخيلة، وهي السحابة تخالها ماطرة لرعدها وبرقها.... وأخال عليه الشيء: اشتبه وأشكل... وخيل إليه أنه دابة فإذا هو إنسان. وتخيل إليه.... وتخيل الشيء: تلون ونصب خيالا في مزرعته، وهو الفزاعة ".[3]

[1]- نادر أحمد عبد الخالق: المتخيل التعبيريدراسة مقارنة في الصورة والقصيدة ديوان: أدخل جسدي أدخلكم لصورة للشاعرة وفاء عبد الرزاق أ نموذجا، دار العارف، بيروث، لبنان، (دط)، (د ت)، ص100.

[2]- ابن منظور: المرجع السابق ، ص 191 – 193 .

[3]- أبي القاسم مُحَمَّد بن عمر الزمخشري، أساس البلاغة ، دار النفاس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ،ط1: 2009 ص 122.

جاء كذلك في مقاييس اللغة لابن فارس فإن "الخاء والياء واللام" أصل واحد يدل على حركة في تلون، فمن ذلك الخيال، وهو الشخص وأصله ما يتخيله الإنسان في منامه لأن يتشبه ويتلون... والخيل معروفة، سمعت من يحكي عن بشر الأسى عن الأصمعي، قال: كنت عند أبي عمرو بن العلاء وعنده غلام أعرابي فسئل أبو عمرو: لما سميت الخيل خيلا ؟ قال لا أدري، فقال الأعرابي لاختيالها: فقال أبو عمرو: اكتبوا و هذا صحيح لأن المختال في مشيته يتلون في حركة ألوانا .... "[1]

ثانيا: اصطلاحا

مصطلح المتخيل من مصطلحات ذات مصدر واحد كالخيال، المخيل، التخييل والتخيل وكلها تعود إلى أصلها المتمثل في الصورة .

فقد عرف المتخيل "بأنه بناء ذهبي أي أنه إنتاج فكري بالدرجة الأولى ليس إنتاجا ماديا" [2] بمعنى أنه إنتاج عقلي وليس مادي.

فهو إنتاج عمليات تصف الفن التي تعطيه قيمة يذكرها الملتقي، فهو نتاج عمليات عقلية يمكن أن تنتج مالا يوجد في الواقع مالا يستسيغه أحيانا ويتجلى ذلك من خلال صدم آفاق الانتظار لكن تبقى هذه المعرفة التخييلية مهما بعدت لا تتناقض مع المعرفة العقلية وإنما تنهض منها من خلال إدراك الصور الحسية.[3] إذن فالمتخيل هو الشيء الذي لا وجود له في الواقع أو ذاك الذي لا وجود له إلا في ذهن الإنسان فهو عبارة عن صورة ذهنية .

فالمتخيل يمتلك قدرة استحضار مكبوتات النفس للكشف عن حقيقة الذات للإنسان، كما يعد مصدر إلهام و إبداع للمبدع، فوظيفته تتحقق من خلال الإبداع بصورة دائمة ومنظمة في ذهن المبدع عن طريق الحلم البناء .

---

[1]- ابن فارس: مقاييس اللغة: (ت ج)، عبد السلام مُحَمَّد هارون ، مادة (خ ي ل)، مج 2 ، دار الجبل، بيروت، (د ط)، (د ت) ص235 .

[2] - حسين حمدي: فضاء المتخيل: منشورات الإختلاف، الجزائر ،ط1: 2002، ص 43 .

[3]- أمنة بلعلى: مرجع سابق ، ص22.

كما يرتبط المتخيل بالأثر النفسي الذي يحدث عند المتلقي "إن المتلقي يعد عنصرا مهما ليس فقط في إدراك المتخيل وإنما في عملية بنائه"،[1] كما يقال في أحد مفاهيمه "إن أدل التعريفات للمتخيل هو أنه تأويل". [2] أي أن المتخيل هو وسيط لفعل القراءة والتأويل الذي يقوم به القارئ للعمل الأدبي.

إن لملكة الخيال أو المتخيل "أثر هام في عملية الخلق الأدبي وفي عملية تشكله فكل التفاعلات مع الواقع الاجتماعي أو الأخلاقي أو المعرفي هي تعبير عن متخيل معين يختلف باختلاف الواقع والمضامين، فعملية الإبداع والخلق وطيدة الصلة بالمتخيل الذي تصدر عنه، ولهذا الأخير دور كبير في إدراك المعرفة الجمالية للنصوص ومن تم تأويلها وفتح مغاليقها وفهم أسرارها وتذوق جمالها، ولقد أدرك الأدباء منذ القديم أهمية الخيال أو المتخيل في عملية الخلق الأدبي.[3]

كما نجد المتخيل أيضا " يعطي للرواية أحيانا خصوصية تعرف به، ويتعالى عنها أي كان ليكون وسيلة لإثارة أشياء غير موجودة بواسطة اللغة، ومحاكاة أشياء موجودة أو إثارة نوع من الأيهامات أو التمثلات التي تتوجه إلى الأشياء وتربطها باللحظة التي تتمثلها فيها بالذات، فتصبح عملا مقصودا يجسد وعيا أو اعتقاد بإيهام " [4]

وعليه فإن المتخيل هو الذي يضفي على الرواية ميزة خاصة فهو آلية لإثارة أشياء غير موجودة في الرواية إذن المتخيل هو عملية إثارة مقصودة ينتج من خلالها استحضار الصور المخزنة عند الملتقي لكي تتطابق مع الصورة المتخيلة.

يتبدى لنا من خلال تصفحنا لمصطلحات الخيال والتخييل والمتخيل أنها متداخلة فيما بينها من حيث معانيها فكلها ترجع إلى أصل واحد وهو مصطلح الصورة و في هذا الصدد نجد أن آمنة بلعلى تؤكد ذلك في قولها :"يتموضع

---

[1] – المرجع السابق، ص 27.

[2] – المرجع نفسه، ص 205.

[3] – فائزة بن خليفة: مصطلح الخطاب والمتخيل عند مُحَمَّد لطفي اليوسفي: مذكرة ماجيستار مخطوطة ، 2011- 2012، ص 156.

[4] – آمنة بلعلى:مرجع سابق، ص 17 -18.

مفهوم المتخيل Lmaginaire في نقطة تماس يتقاطع فيها مع مفاهيم ومصطلحات أخرى من نفس المصدر كالخيال والتخييل والمخيال غير أن تباعدها الشكلي نسبيا لا يعكس في الحقيقة سوى صيغ صرفية تحتفظ بخصوصيتها ."[1]

ومن هنا نستطيع أن نرى إلى الأمام ونستشرق الآفاق، فالخيال والتخييل مرافقا للإبداع ليس الشعر فقط بل النثر أيضا، وقد استطاع الخيال الولوج إلى مختلف النصوص الأدبية، خاصة الرواية فهي فن التخييل الذي يثري الحياة بمعانيها ودفقات مشاعرها والخطاب الذي يحمل تأويلات، وبالتالي فهو ممارسة إبداعية متخيلة تدخل في صراع مع الشعر ونثريات أخرى .

ومما لاشك فيه أن الخيال والتخييل والمتخيل ترجع في الأصل إلى مصطلح الصورة نجد أن التخييل ضرب من الكلام المباين للحقيقة من جهة ما فيه من تظليل وكذب أما التخيل فهو أسلوب يعتمد على التأويل وبالتالي فهو سلوك يجري على التخييل أما المتخيل هو ظاهرة من ظواهر تجلي الخيال في المحكي الإبدائي أي هو صورة الخيال، إذن المتخيل هو معني مادي يدل على الخيال ويقوم شاهدا عليه ومن تم يتقدم بوصفة جسر للعبور على الرغم من التداخل بين هده المصطلحات إلا أن هناك فروق بينهما. فالخيال هو الملكة التي تقوم بتكوينه صور دهنية لما هو موجود في الواقع أو مستوه له والمتخيل هو تجسيد لهذا الخيال وشكل من أشكال ظهوره المادي ويوظف الأدب بقصد التعبير عن الذات أو عن الواقع مما يسهل على الدارس رصده وتحليله نظرا لطبيعته الملموسة .

أما التخييل فهو "تحويل للمسموع إلى مرئي أو ما يشابه المرئي من خلال النسق اللفظي وحده وهو أمر لا يتحقق بغير استخدام الصور المحسوسة ". [2]

فالتخييل هو نتاج تفاعل المتلقي مع المبدع و لقد تبينا في دراستنا مصطلح المتخيل .

II- المتخيل الصحراوي

لقد اتخذت الرواية فضاء الصحراء مكانا منفتحا تجتمع فيه الكثير من المتناقضات .

[1] - المرجع السابق، ص17.

[2]- صلاح عيد: التخييل نظرية الشعر العربي: مكتبة الأداب، القاهرة ، مصر، ط 1: 1993، ص83.

ومن هذا المنطلق سوف نحاول التعرف على مفهوم الصحراء والتطرق إلى مكوناتها من طبيعة و عادات و تقاليد ،بالإضافة إلى الإنسان الذي يعتبر الكائن الأهم في هذا الوسط.

1- تعريف الصحراء

أولا: لغة

- عرف ابن منظور في لسان العرب الصحراء بأنها: الأرض المستوية في لين وغلظ دون انقطاع وقيل: أنها الفضاء الواسع، الذي لا نبات فيه، وقال الجوهري: هي البرية، وقال ابن شميل: الصحراء من الأرض مثل ظهر الدابة الأجرد ليس بها شجر ولا إكام ولا جبال ملساء. ويقال بيئة الصحر والصحرة وأصحر المكان أي اتسع، وأصحر الرجل: نزل الصحراء. وأصحر القوم إذا برزوا إلى فضاء لا يواريهم شيء والجمع الصحارى والصحاري وأضاف ابن سيدة الجمع صحراوات وصحار وقيل / الصحرة جمرة تضرب إلى خير، ورجل أصحر وامرأة صحراء في لونها. واصحار النبت اصحرارا، أخذت فيه حمرة ليست بخالصة تم هاج فاصفر.[1]
- وجاء في معجم تاج العروس الصحراء: الأرض المستوية في لين وغيظ دون قف أو هي الفضاء الواسع زاد بن سيدة: لإنبات به. قال الجوهري الصحراء: البرية، ابن شميل: الصحراء من الأرض: مثل ظهر الدابة الأجرد ليس بها شجر ولا إكام ولا جبال ملساء .[2]
- ورد في معجم الوسيط بمعنى الصحراء اسم سبع محال بالكوفة، والصحراء الأرض المستوية في القف أو الفضاء الواسع لا نبات فيه.[3]

[1]- ابن منظور: لسان العرب، مادة (ص ح ر)، دار صادر بيروت، لبنان، (دط)، (دت)، ص 202- 203 .

[2]- الزبيدي: تاج العروس، تج مصطفى حجازي مطبقة حكومة الكويت، الكويت، 1973 ، ج ،12 ص 286 .

[3]- الفيروز أبادي: القاموس المحيط تج مُحَّد نعيم العرتوسي مؤسسة الرسالة بيروت ، ط8 : 2005 ، ص443 .

من خلال تتبعنا لمفهوم كلمة الصحراء في بعض المعاجم العربية وجدنا توافق على أن الصحراء تعني الأرض المستوية أو الفضاء الواسع الذي لا نبات فيه، قليل الأمطار لا أنهار فيها ولا مياه متوفرة و لا عيون جارية ممتدة متفرقة عشبها و شجرها.

ثانيا: اصطلاحا

هي المنطقة الجغرافية التي تمتاز بجفافها فهي قاحلة نادرة الأمطار، وبالتالي فظروف الطقس معادية للحياة النباتية والحيوانية. وإن انعدام الغطاء النباتي في الصحراء يعرض سحطها لعملية التعرية والأهم في مفهوم الصحراء هو الحالة المناخية التي تطبع التضاريس الأرضية بطابعها الخاص. والمناخ "لا يتألف فقط من الأمطار ودرجات الحرارة، بل يضاف إلى ذلك الرياح والإشعاعات وعناصر أخرى". فمفهوم الصحراء يقترن دائما بوضع منافي يتميز بقلة أو ندرة الرطوبة أو المياه مع ارتفاع للحرارة وفروقها اليومية والفصلية وتطرف في مقادير التبخر والنتح. فالتطرف في العناصر المناخية و المائية، وما يرافق ذلك من انعدام شبه تام أيضا للحياة.[1]

و بالرغم من أن الصحراء أرض قاسية بمناخها قاحلة بطبيعتها فقيرة بإنتاجها الزراعي فإنه ينظر إليها اليوم كجزء لا يتجزأ من عالمنا الأرضي بل تظم أجزاء مهمة من هذا العالم .

فالصحراء جزء من تراثنا الطبيعي.[2] إذا كانت الصحراء فقيرة في إنتاجها الزراعي والمادي فإنه ينظر إليها على أنها غنية بتراثها الثقافي وبإنتاجها الرمزي فإذا الصحراء قاحلة جرداء فهي قد كانت دوما أوسع فضاء للتأمل والتفكير، وكانت أفضل مواطن للأساطير والأشعار والأديان. "الصحراء مهبط الأنبياء وملهمة الشعراء العرب في الجزيرة العربية وهي التي تحدث عنها الفيلسوف الكبير "نيتشة" في كتابه "هكذا تكلم زرداشة"

[1] – صلاح صالح: الرواية العربية والصحراء: منشورات الثقافة، دمشق سوريا ، ط1: 1996، ص16 .

[2] – حسين المودن: الرواية والتحليل النصي من منظور التحليل النصي: ط1: 2009 ، دار الأمان ، الرباط، ص127 .

فقال :« ذلك زمان عشقت في الصحراء غاذتي الشرق .» فهناك سماء غير هذه السماء، لا تتلبد فيها الغيوم ولا تعكر أديمها الأفكار.... إن الصحراء تتسع وتمتد فويل لمن يطمع إلى الاستيلاء عليها.[1] يا للمهابة ؟ بالبداية تليق بمهابة الصحراء، تليق بأسد أو بنذير يهيب بالناس إلى مكارم الأخلاق" إنها لروعة، لم تسلط عليكما يا صديقتي عندما أتيح لي أنا ابن أروبا أن أجلس عند أقدامكما تحت ظلال النخيل وأنادي: حي على الصلاة يا للعجب، أراني راكعا أمام الصحراء، ولكني عنها جد بعيد لم تبتلعن الواحات الصغيرة، بل انفجرت أمامي، كأطيب الثغور نكهة فارتميت فيها وها أنادا عند أقدامكما يا صديقتي العزيزة .... فحي على الصلاة إنني أمجد تلك اللوحة فأنا قادم من أروبا أشد العرائس جحود». هذه هي الصحراء في نظر الفيلسوف "نيتشه" إنها فضاء ممتد ملتف بالغموض والأسرار إلا أنها كفيلة بمنح الإنسان الطمأنينة المنشودة.[2]

إذن الصحراء هي مخزون كنوز العالم الروحي، الصحراء هي منتج العالم الروحي كله.

إن الغموض الذي يكتنف عالما فسيحا ومجهولا كعالم الصحراء لابد أن يطلق العنان لمخيلة الإنسان، فتراءى له الأشياء على صورتها الحقيقية فقد كانت الصحراء مصدر إلهام الروائيين، وقد مثلت مرتعا خصبا لإنشاء التخييل الروائي. " فالمتخيل هو الذي يعطي للرواية أحيانا خصوصية تعرف به ويتعالى عنه أحيانا أخرى ليكون وسيلة لإثارة أنباء غير موجودة بواسطة اللغة أو محاكاة أشياء موجودة..."[3]

إذ تعد " الصحراء ذلك السحر الأسطوري الكامن في المخيال الجمعي للإنسانية عامة حيث تبرز الصحراء في الوعي، والمخيلة مجمعا للنقائض، فهي تحتوي على سلسلة من الثنائيات المتضادة الحاملة لمجموعة من القيم المختلفة والمتناقضة فهي ترمز إلى الحياة والموت وإلى الاتساع والضيق وإلى الغربة والتهميش وبذلك تكون منسجمة مع طبيعتها

[1] – جميلة طلباوي: الصحراء في الرواية الجزائرية البدايات النازفة والإنتباه المتأخر النصر، المجلد 37، العدد 1، السنة 2 نوفمبر 2020.

[2] – المرجع نفسه.

[3] – آمنة بلعلى: مرجع سابق، ص ص 17 – 18 .

المتقلبة فهي لا تسكن حينا حتى تثور، ولا ترضى لحظة حتى تغضب تفرح فيتحول الكون إلى مسرح شعري رائع، وتغضب فيكون غضبها الهلاك والشقاء.[1]

فالصحراء تعتبر محرض من محرضات روح المغامرة الإنسانة، وهي التي توسع أفق التصور المحفز على الإبداع، وبالتالي هي مرتع فد للخيال، وفضاء لا يضاهي لمسارات من السرد لا تنتهي، فقد ألهمت العديد من الشعراء والروائيين، فهو بكل تجلياتها التأملية التي تحيل على الموروث الإبداعي، صاحبة الفضل على ديوان العرب هي البيئة المؤثرة، كما أنها المادة الشعرية الطافحة بتفاصيل البيئة التي تفتقر على كونها معاشة بقدر ما هي خاوية تشكل أسلوب جوهريا في الخلق والابتكار ومحفز على اختراق المكان بالتجذر فيه، بحيث إذا تحولت فيها يذهب عقلك إلى عالم الخيال من شساعة المكان وهدوئه.[2]

"والصحراء مكانا أولا وفضاء رحاب تانيا استطاع على مر الأيام أن يجدب إليه الإنسان ويستقطبه ويغريه ليس بسحره وعجائبيته فحسب ولكن بروحانيته العقبة وأسراره الخفية التي وقف الإنسان أمامها مشد وها مذهولا، لا مستشعرا ضالة شأنه وصغر حجمه ومن تم نشأة هذه العلاقة الغامضة الملغزة بين الإنسان والصحراء والتي تجلت في أسطورة انتسجت خيوطها من خيال الإنسان تماهي بالمكان ومن مكان أبى ألا يحتضن الإنسان فشكل الإثنان معا أغنية خالدة ظلت ترددها الأجيال على مر العصور "[3]

" فالصحراء إذن عمق ثقافي ومعتقدي لأبناء المنطقة العربية ولذلك تعاطت معها الرواية العربية برؤية عميقة ومنظور شمولي فوظفت مميزاتها العامة والخاصة في نسيج روائي متكامل من زوايا متعددة ورؤى مختلفة صبت كلها في

[1] – ينظر ، الطيب لسلوس: مداخلات المنجز السردي للسعيد بوطاجين ، الملتقى الوطني الثالث للكتابة السردية تحت شعار السرد و الصحراء ، دار الثقافة لولاية أدرار ، الجزائر ، 2014 ص 169 .

[2] – المرجع نفسه.

[3] – حسين بوحسون: فضاء الصحراء جدل المكان و الإنسان، مجلة دراسات، جامعة بشار، الجزائر، العدد التاني، ديسمبر 2012، ص 157 .

بيان سلطة الصحراء وتأثيرها في الإنسان العربي حضارة وثقافية وشعورا وفنا." [1] كما أنها تعتبر فضاء رحب منح الإنسان المجال للتعبير عن أفكاره وذلك من خلال الهدوء والسكينة التي تحضي بها الصحراء .

فهي تبعث في النفس شيئا من الراحة و السكينة، وتمنح برحابتها وشساعتها حرية أكبر للمتخيل وتحرره من قيود الفضاءات الضيقة و بالتالي فالصحراء تعد مرجعية إبداعية للمتخيل ليصور أماله وآلامه وما يختلج في نفسه فهي كانت أنيسا لوحدته .

إن الصحراء لمن لا يعرفها ليست مجرد أرض جرداء، لأنها ثرية فهي التي أنجبت البشر وأنجبت رسول البشرية، ومنحت العرب الشعر والتأمل والخرافة والأساطير، والبطولة والشجاعة فالصحراء عالم السحر والخيال، ومنبع الأصالة والتجذر، فهي المكان الذي أبدعه الله في خلقه ألهم الكثير من المبدعين، ففتحوا العنان لمخيلاتهم، ليصوروها في لوحة فنية متناسقة، " وبما أن الصحراء ليست مكانا نطؤه أو نجلس عليه أو نعمره فقط بل جمالية حية فاعلة يتفاعل معها الكون والناس والحيوان والنبات والجن، وهي مركز والآخر هامش "[2]

" حيث يبرز لنا الأساس النفعي للجمال ظاهرا فيما قدمته الصحراء لساكنيها ولمحبي التأمل والتفكير من حرية وعزلة وخلاص رغم شدتها ، وظهر الأساس التعليمي في كون الصحراء أما للصحراويين علمتهم الحكمة والصبر وهي مهبط الرسالات. علمتهم أيضا الغناء الذي يعين الصحراوي على تحمل مشقة العيش فيها والأساس الأخلاقي كان ظاهرا في التطهير والتخليص و يأتي الأساس الاجتماعي ليشمل ما سبق ." [3]

رغم قساوة المناخ الصحراوي وصعوبة العيش في هذا المكان ، إلا أن الإنسان استطاع التأقلم معه والعيش فيه وذلك بفضل ما منحته الصحراء من حرية ورحابة تمنح العقل سعة في التفكير والتدبير والتأمل والنضوج وهي متعة والنفس فيها راحة روحانية

[1] – المرجع السابق، ص 159.

[2] – وليد بن حمد الذهلي: جمالية الصحراء في الرواية العربية، ابراهيم الكوني أ نموذجا: دار جرير للنشر والتوزيع، عمان الأردن، ط1 : 2013 ، ص 14.

[3] – المرجع نفسه ، ص 14.

نجد "وليد بن حمد الذهلي" في كتابه جمالية الصحراء في الرواية العربية يقول :" حينما يتم منح المكان شعرية خاصة به، يلزم أن نمنحه مساحة أكبر من المساحة الموضوعية وهذا ما يتم منحه لصورة الصحراء الممتدة والمتناهية في الكبر. هو عوض في العمق، هو تماه مع أختها السماء، الخيال يمنحها عمقا في الأوطان عمقا يعرج بها نحو الأوطان السماوية. هذه الصحراء التي تليق بأسد أو بنذير يدعو الناس إلى مكارم الأخلاق. الصحراء تتسع وتمتد فويل لمن يطمح إلى الاستيلاء على الصحراء للبعض جنة و للبعض نار".[1]

وكتب "الجاحظ" في حب البدو لها :"... قيل لأعرابي: ما أصبركم على البدو وقال: كيف لا يصبر من وطاؤه الأرض وغطاؤه السماء وطعامه الشّمس وشرابه الريح"، [2] إن الصحراء مكان ليس كغيره من الأمكنة إن اختيارها للإنسان صارم حدّ القساوة ، فهي تخيّره دوما ما بين النقيضين اللذين لا ثالث لهما التحدي أو الموت، وحين يعلن الإنسان فشله أمامها تعلن هي انتصارها. يذكر حمد الذهلي في قوله:" لم يستطيع العرب أبدا أن يدركوا مدى سحر الصحراء العجيب لغير العرب، فبالنسبة للعرب تمثل الصحراء مكان للحرمان والألم" والموت ." [3] لا أعرف كيف يولد الفتى صحراويا ولا يبحث عن سر الصحراء تبدو مكشوفة عارية حاسرة الرأس والبدن و لكنها تخفي دنيا لا تخفيها الأدغال أو المدى.[4] وبالتالي فالصحراء تمنح الإنسان قيم الصبر وحب التأمل وما يميز الصحراء غموضها وسرها العجيب وهنا تكمن جماليتها الفنية.

وهنا نجد أيضا الذهلي يقول:" أمّا الجمال الخالص فيدعونا إلى البحث عن العناصر أو الخصائص التي جعلت الراوي يصنع من هذا المكان الصحراوي مكانا جميلا، فالعلاقات بين الصحراء ومكوناتها (الإنسان والحيوان والنبات والأساطير والعادات و الجن والصخور والجبال والرمال ... وغير ذلك) تنظم في نظام دقيق سيتم إظهار قيمة الجمالية

[1] - المرجع السابق، ص128 .

[2] - المرجع نفسه، ص 119 .

[3] - المرجع نفسه ، ص 120 .

[4] - المرجع نفسه، ص 120 .

الصحراوية من خلال الكشف عن هذا النظام.[1] ومن هنا يمكننا ابراز جمالية وهيئة الصحراء من خلال التطرق إلى مكوناتها من طبيعة وعادات وتقاليد والإنسان الذي يعتبر الكائن الأهم في هذا الوسط .

2- الطبيعة، العادات والتقاليد

إننا عندما نذكر مصطلح الصحراء أول ما يتبادر إلى أذهننا الطبيعة التي تميز هذه المنطقة وذلك لما تزخر به من مناظر ساحرة وخيرات" فالطبيعة الصحراوية جمالها ساحر هواها نقي وما يزيد جمالها هي الكثبان الرملية التي تبدو كرداء مهد حريري ذهبي و امتدادها اللا محدود بحيث إذا تجولت فيها يذهب عقلك إلى عالم الخيال من شساعة المكان وهدوئه أما غروب الشمس في الصحراء المتدرج في لونه من البرتقالي و الأحمر هو لوحة فنية من إبداع الخالق"[2]

واسعة رحيبة ناعمة ذهبية هي تلك الصحراء التي تتيه عبر رمالها ويحييرك مدى الأفق فيها ليس لها حدود تقيدك ولا أحجار تؤذيك تمشي والذهن صافي والفكر منطلق إذا تعبت فرشت لك رمالها ظلك الناعم بنعومتها تستريح وتواصل البشر وتعطر أنفاسك بشذى الحرية وتحتفظ بأثرك لأنك غصت في أعماقها نخط بصفحاتها ما يجول بخاطرك بأناملك وعصاتك". والطبيعة هي المحيط الذي تدخل تحته كل المعاني والألفاظ والكلمات والأسماء والإيحاءات فتتطبع و تخرج معبرة عنه".[3] كما تعتبر هذه الأخيرة مصدر إلهام لدى المبدعين والفنانين لما حظيت به من اهتمام كبير في أعمالهم الفنية فالطبيعة عنصرا مهما اكتسبت الصحراء صورة فنية جمالية.

عند حديثنا عن الطبيعة كعنصر مهم في الوسط الصحراوي باعتبارها ساحرة جدابة منحت الفضاء الصحراوي مسحة فنية، غير أن هذا وحده لا يكفي و يمكننا هنا استحضار مكون آخر مهم يتمثل في العادات والتقاليد الذي يتميز بها المجتمع الصحراوي، فالفضاء الصحراوي له خصوصية ثقافية فكرية كما يتميز بثراث ثقافي ورمزي من نوعية

[1] - المرجع السابق، ص 14.

[2] - حسين بوحسون: فضاء الصحراء المكان و الإنسان، ص 15 .

[3] - مُحَمَّد صديق حسن عبد الوهاب: الصحراء في الشعر الجاهلي: بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراة، في الأدب والنقد، تحت إشراف د. عبد الرحمان عطا المنان: قسم الدراسات الأدبية والفنية، كلية الدراسات العربية، جامعة أمدرمان الإسلامية. أمدرمان، السودان 2007،2008، ص 34.

خاصة يجعلها عالما ثريا بالدلالات فالمجتمع الصحراوي يرفض كل ثقافة جديدة طارئة تحاول التغيير، أو تسعى إليها فعادات وتقاليد المجتمع الصحراوي تختلف عن عادات وتقاليد المدن وذلك لطبيعة المعيشة التي يتميز بها هذا المجتمع "فالمكان الصحراوي كان نوعا من الأصالة المنشودة ." [1] حيث نجد الصحراء عالم اللاواقع، عالم أسطوري روحي يؤمن بالأمل والأساس لمنبع الإنسان لتمسكه بالعادات والتقاليد.

"الصحراء عمق ثقافي و معتقدي لأبناء المنطقة العربية"[2] تحضى بموروث ثقافي خاص توارثه أبناء المنطقة جيل بعد جيل حيث اعتادت على رفض التجديد وحاربت كل من يسعى إليه لسان حالها يقول تعالى "إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون "[3] فإذن يمكنني القول أن الصحراوي سجين لواقعه المحدود و نجد أن نمط تفكيرة مستمر من نمط معيشته كل هذا ما قد يميزه عن غيره في المجتمعات الأخرى مما سة فنية بمالية منفردة .

إنه وعلى الرغم من منحته الطبيعية للصحراء بإمتزاجها مع العادات والتقاليد للشعب الصحراوي غير أن هذا لايحدث إلا بحضور عنصر ثالث والأهم لهو الإنسان.

3- الإنسان (رجل ، إمرأة)

يعتبر الإنسان بؤرة الجدل الذي يميز الصحراء عن غيرها ،و يبعث فيها روح الإبداع وبالتالي فالصحراء قد فرضت نفسها على الإنسان ،ووجهت تدبير حياته في ظلها ،كما وجهت عملية الإبداع لديه حتى عدّها منبع الإلهام ومثلث مواقف و رؤى وجودية لا حصر لها خاصة و أنها ارتبطت بمتخيل ديني ضارب في القدم ، ارتبط بالديانات السماوية و اكتسح عالم الأساطير، لتغدو الصحراء ذاتها رمزية أسطورية عميقة تعبر عن طرق الإنسان نحو المطلق ورغبته في تجاوز الغامض والغريب و فهم عالم الخوارق وما هو وراء الواقع ، وعمق التجارب الغامضة في الإنسان.

---

[1] – ميرال الطحراوي: محرمات قبلية ل المقدس وتخيلاته في المجتمع الرعوي روائيا : المركز الثقافي، بيروت، لبنان، 2008، ص 20.

[2] – جمال ابراهيم: الفضاء ولغة السرد في روايات عبد الرحمان منيف: المركز الثقافي العربي، الدار البيضا، المغرب، ط1: 2003، ص14.

[3] – سورة الزخرف (22) ، الآية 22 برواية حفص، ص491.

فالإنسان يختلف عن غيره من الكائنات لا يستسلم يتقبلها كما هي فهو يستمد ثقافته وأصالته وحضارته من الصحراء، هو في النص الروائي" يعتبر محور النص ومحرك الأحداث والعنصر الفاعل في كل التطورات التي تحدث في المجتمع لأنه المعنى بها أساسا، وهذا العالم هو الذي نعبر عنه بعالم الشخصية ."[1] وخصصنا بالذكر ثنائية الرجل و المرأة

وفي ظل موضوعة الإنسان نستحضر ثنائية الرجل والمرأة ،فهما مكملان لبعضهما فالرجل هو سند المرأة وسترها والمرأة تكمل الرجل فهي مثال للصبر والكفاح، وكل منهما يكمل الآخر يقول الله تعالى بعد بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ :«يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا و قبائل».[2]

والصفة التي تربط الرجل والمرأة هي صفة تكامل وتوحد وليست صفة مفاضلة.[3] ولهذا على الرجل أن يحترمها ولا يستعبدها فحرية الرجل ترتهن بحرية المرأة وعبودية المرأة تلغي إمكانية إفادة الرجل من حريته.[4]

فالمرأة الصحراوية لم تنكر أنوثتها أمام قساوة مناخ الصحراء إنما تعايشت مع البيئة الصحراوية وكانت تمثل الصحراء في جمالها و غموضها و جاذبيتها فهي تحمل روحها وسرها وسحرها .

كما نجد الرجل الصحراوي يساند المرأة ويقدسها كما أنه يعتبر مثال للشجاعة والقوة والكد من خلال عمله الدؤوب فأهل البادية يعيشون من الزراعة والفلاحة .

ولقد جسد لنا الرواية سواء العربية أو الجزائرية صورة الرجل و المرأة في عملهم، فهناك من "صور الرجل الذي يحتضن امرأته في وضع مقدس"[5] وفي هذا الصدد نذكر رواية "من أنت أيها الملاك " للكاتب إبراهيم الكوني.

---

[1]– الطيب لسلوس: مداخلات المنجز السردي للسعيد بوطاجين، الملتقى الوطني الثالث للكتابة السردية تحت شعار السرد والصحراء، دار الثقافة لولاية أدرار، الجزائر ، 2014 ص 117.

[2] – سورة الحجرات، الآية 33.

[3]– عفيف فراج: المرأة بين الفكر والإبداع: دار الأداب للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط 1: 2009 ص 8.

[4] – المرجع نفسه، ص 81.

[5] – هشام محمّد عبد الله: اشتغال العتبات في رواية " من أنت أيها الملاك ": دراسة في المسكوت عنه، كلية التربية قسم اللغة العربية، مجلة ديالي، السابع والأربعون، 2010، ص6.

III- حضور المتخيل الصحراوي في الأدب .

حظيت الصحراء باهتمام الكثير من الكتاب فجسدوها على كتاباتهم شعرا و نثرا ، حيث تطرقوا فيها إلى صورة كل من الرجل و المرأة ، من خلال هدا سنقف عند حضور الصحراء في الشعر و النثر.

1- الشعر

لاشك أن الصحراء قد فرضت نفسها على الإبداع الأدبي، حيث أنها تزخر بموروث ثقافي وفكري وتأثيرها في الأدب العربي ليست بظاهرة حديثة بل هي قديمة قدم الأدب نفسه فالشعر العربي منذ العصر الجاهلي زاخر بالكثير من النصوص التي تفاعل فيها الشعراء مع الصحراء ،وما تحمله بيئتها من رموز ودلالات ،فقد كانت المحور الأساسي في بروز الشعراء مع الصحراء وما تحمله بيئتها من رموز ودلالات، فقد كانت المحور الأساسي في بروز الشعر وظهور الشعراء فلا يكاد يخلوا عمل أدبي من ذكر الصحراء ومكوناتها، ذلك أن لها على الإنسان فضل لا ينكر في توجيه حياته و فكره و سلوكه فهي ليست مكان فقط و إنما زمان في الوقت نفسه تركت أثر لا تمحو الأيام من ذاكرة هذا الإنسان فهو ابن هذه الصحراء التي أكسبته قسوتها القوة والصبر والإصرار والعفة، ومنحته الذهن الثاقب و الذكاء الحاد ما جعله شاعر لبيئته، فقد برزت الصحراء عند الكثير من شعراء العصر الجاهلي أمثال إمرئ القيس، طرفة بن العبد و زهير ابن أبي سلمى، عنترة وغيرهم من الشعراء الجاهليين.

حيث نجد أمرئ القيس وصف الصحراء في معلقته ووصف مظاهرها و أبوائها فنجده يقول :

أَصَاحِ تَرَى بَرْقاً أُرِيكَ وَمِيضَهُ كَلمْعِ الْيَدَيْنِ فِي حَبِيٍّ مُكَلّلِ

يضِيءُ سَنَاهُ أَوْ مَصَابِيحُ راهِبٍ أَمَالَ السَّلِيطَ بالذُّيالِ الْمُفَتَّلِ

قَعَدْتُ لَهُ وَصُحْبَتِي بَيْنَ ضَارِجٍ وَبَيْنَ الْعُذَيْبِ بَعْدَ مَا مُتَأَمَّلي

على قَطَن بالشَّيْم أَيْمنُ صَوْبِهِ وَأَيْسَرُهُ على الْسِتَارِ فَيُذْبُلِ [1]

[1] – ديوان إمرؤ القيس: عبد الرحمان المصطاوي: دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، ط 2: 2004 ص 63 .

فقد جاء ذكرها عندهم :«ضمن دائرة من الخصوصية لدى كل واحد منهم، ويعتمد ذلك على خصوصية الكفاء الإبداعي، ولحظة الشعور الإبداعية فإذا فإذا ذكر الشاعر الحيوان فإنه يقدمه على ذكر الصحراء، ويجمع في الصورة المتقدمة عاملا بيئيا كالمطر أو المستنقع أو الشجر، أو الليل، ثم يأتي بوصف جغرافي للبعد الصحراوي»[1]

أي أن الشعراء يصورونا كل ما تقع عليه حواسهم فكانت الصحراء ملهمهم حيث صوروها وصوروا مناظرها وكائناتها وأضافوا على هذا التصوير مسحة خيالية، فجاء خيالهم فكانوا لنا لوحات فنية رائعة في أشعارهم حيث نجد الأعشى يصف جزئية من صورة الصحراء بقوله :

وَبَلدَةٍ يَرهَبُ الجَوّابُ دُلجَتَها حَتّى تَراهُ عَلَيها يَبتَغي الشِيَعا

لا يَسمَعُ المرءُ فيها ما يُؤَنِّسُهُ بِاللَيلِ إِلّا نَئيمَ البومِ وَالضُوَعا

كَلَّفتُ مَجهولَها نَفسي وَشايَعَني هَمّي عَلَيها إِذا ما آلُها لَمَعا [2]

ولعل الشعر كان وسيلة تعبير الحياة البدوية في الصحراء ،وهو يمثل الصورة والكتابة للتاريخ والجغرافيا للكتابة ويمثل نقل الحي لكل مظاهر الحياة فالشعر عكس إبداعهم وفكرهم وأخلاقهم ورؤيتهم للحياة ووسائل حياتهم وإحساسهم بالجمال والقبح ،وعلو الهمة والفخر والاعتزاز بالنفس ،وسمو الروح ومظاهر الحياة الاجتماعية لديهم وكل أغراض الشعر ولذلك نشأ الشعر العربي في هذه البيئة الخصبة بالفكر والإبداع والروح والجمال.[3]

فقد كانت الصحراء ملهمة للشعراء العرب القدماء ومنهم والمحدثين ،حيث فجرت فيهم ينابيع الشعر والفصاحة على ألسنتهم.

[1] – مُحَمَّد صديق حسن عبد الوهاب: الصحراء في الشعر الجاهلي، بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراة، في الأدب والنقد، تحت إشراف د. عبد الرحمان عطا المنان، قسم الدراسات الأدبية والفنية، كلية الدراسات العربية جامعة أمدرمان الإسلامية. أمدرمان، السودان 2007، 2008 ، ص6.

[2] – المرجع نفسه، ص 7.

[3] – المرجع نفسه، ص 8.

وقد تحدثوا عن البيئة الصحراوية وطبيعة مناخها في ثنايا قصائدهم ،فوصفوا صحراء شبه الجزيرة العربية الذي يسودها الجفاف و قلة المطر .

ولعل الطقس الحار الذي غلب على الصحراء أخد حيزا كبيرا في ثنايا قصائد الشعراء نتيجة للتجوال والترحال الذي أصبح ديدنهم ،فكثيرا ما يوفق الشاعر في ذلك فتأتي الأبيات معبرة عن هذا الموقف ،مصورة حرارة الصيف ،أو برودة الشتاء ،وفي هذا يقول علقمة الفحل مصورا حرارة الصحراء في إحدى قصائده :

وَقَد عَلَوتُ قُتودَ الرَحلِ يَسفَعُني يَومَ تَجيءُ بِهِ الجَوزاءُ مَسمومُ

حامٍ كَأَنَّ أَوارَ النارِ شامِلُهُ دونَ الثِيابِ وَرَأسُ المرءِ مَعمومُ.[1]

" و يذكر أيضا هاجرة الصحراء و سمومها في قوله :

تَدَلَّتْ عَلَيْهِ الشّمْسُ حتى كأنَّها منَ الحَرِّ تَرْمِي بالسَّكينةِ قُورُها

و يقول أيضا الأعشى عن شدة حرارة الصحراء :

ووديقةٍ شهباءَ ردّ يَ أَكْمُهَا بِسَرَابِهَا

رَكَدَتْ عَلَيْهَا يَوْمَهَا شمسٌ بحرّ شهابها

حَتى إذا مَا أُوقِدَتْ فالجمرُ مثلُ ترابها.

أيضا يصف الشنفري في لاميته طقس الصحراء الذي تتململ منه الأفاعي من شدة الحرارة ، هذا دلالة على أن الصحراء يقلب عليها طقس الحرارة نهارا في الصيف في قوله :

و يوم من الشعر يذوب لوابه أفاعيه في رمضاته تتململ .

وكثيرا ما يتأخر هطول المطر في تلك البيئة الصحراوية ويعم الجدب أرجاءها و الغيث هو حياتهم ولذلك تغنوا بطقس الصحراء الحار"[2]، الماء كما كان الفضاء الواسع في الصحراء جعل الطقس شتاء أو صيفا يغطي كل مساحتها

[1] – المرجع السابق، ص 54.

[2] – المرجع نفسه، ص58.

ففي فصل الشتاء يكون البرد شديدا فيجمد الماء ويقل الجدب، ويضطر البدو إلى تقريب بيوتهم إلى بعضها ليخفف من شدة البرد عليهم :" يقول طرفة :

إِنّي مِنَ القَومِ الَّذينَ إِذا أَزِمَ الشِتاءُ وَدوخِلَتْ حُجَرُه

يَومًا وَدونِيَتِ البُيوتُ لَهُ فَثَنى قُبَيلَ رَبيعِهِمْ قِرَرُه

رَفَعوا المِنيحَ وَكانَ رِزقَهُمُ في المِنقِياتِ يُقيمُهُ يَسَرُه

ويقول لبيدة يصف يوما باردا في الصحراء وكيف أن البرد دفعه لذبح الجدور :

ذعرتُ قلاصَ الثلجِ تحتَ ظلالهِ بمَثْنَى الأيادي والمنيحِ المعَقَّبِ.

يقول طرفة بن العبيد يصف يوما من أيام الخريف :

وَإِنّا إِذا ما الغَيمُ أَمسى كَأَنَّهُ سَماحيقُ ثَربٍ وَهيَ حَمراءَ حَرجَفُ

وَجاءَت بِصُرّادٍ كَأَنَّ صَقيعَهُ خِلالَ البُيوتِ وَالمَنازِلِ كُرسُفُ

وَجاءَ قَريعُ الشَولِ يَرقُصُ قَبلَها إِلى الدِفءِ وَالراعي لَها مُتَحَرِّفُ.[1]

وقد عبر الأدب عن البيئة الصحراوية أصدق تعبير ،وصورها أجود تصوير ،ونقلها نقلا صادقا نسى التاريخ الكثير منها كما ذهب لذلك كثير من الأدباء ،ولذلك أتى الشعر البدوي في الصحراء عفويا تلقائيا يحمل براءة تدفقه واختراعه من غير تكلف وافتعال " وباءت براعة المزج بين الأحاسيس النفسية و مناظر الطبيعة جعلت معظم الشعر دافق تدفق الطبيعة بعفوية الصحراء رائعة كما هو التصفح للوجود ".[2]

إذن فالصحراء قد فرضت نفسها على الإنسان ووجهت تدبير حياته في ظلها ،كما وجهت عملية الإبداع لديه حتى عدها منبع الإلهام، كما نجدها قد ارتبطت بالشعر ارتباطا وثيقا ،و شغلت مساحة شاسعة في حقل الشعر

[1] – المرجع السابق، ص55.

[2] – المرجع نفسه، ص56.

الجاهلي منذ زمن بعيد، لهذا كانت الصحراء موضوعا للشعراء الجاهليين في قصائدهم و لعل الشعر كان وسيلة التعبير في الحياة البدوية في الصحراء .

2- في النثر

إن المتأمل لموضوعة الصحراء نجد أنها شغلت مجالا واسع في الشعر وارتبطت به ارتباطا وثيقا، إلا أن هذا لا ينفي ظهورها في النثر أيضا ،فقد كانت الصحراء مرتبطة بالنثر مند القديم في الأساطير والقصص .

أ- حضور الصحراء في القصة .

" فقد كان للصحراء وقدرتها على منح الإنسان قيم التأمل ورؤية نهاية العالم، وهذا ما جعلها منطلق الأنبياء للدعوة إلى تعالى، بأنها تتكون من عواصف دائمة وسكون دائم، وهي دوما في طور التحول ولكن لا يتحول منها شيء هي نهاية الأرض، ونهاية موطن الحياة"، [1] ولذلك نهض الأنبياء كلهم من الصحراء وفي نهاية هذا الصدد نذكر قصة سيدنا نوح عليه السلام عندما أوحى إليه الله عز و جل أن يصنع الفلك في الصحراء (الفلك هي السفينة).

"كان نوح عليه السلام يعيش في صحراء مع قومه و أوحى له الله علا و جلا أن يصنع سفينة في الصحراء، قال ربي كيف أن أصنع هذه السفينة، من أي شيء علمه الرب عز وجل شجرة معينة، سنوات طويلة وهو يزرعها حتى حصلت هذه الأشجار و حصدها نوح عليه السلام، وعلمه الرب عز وجل أن يقطعها، فبدأ الناس يمرون عليه ما بال نوح ، كان يدعون إلى دين يأمرنا بعبادة رب ، يقاوم عبادتنا، الأن ترك كل هذا و بدأ يشتغل بالأشجار وبالتجارة وبالخشب، بدأ بقطع الأشجار هو و الذين آمنوا ما الذي يفعله نوح، لم يصنع هذا يأتون إليه يسخرون عليه، ثم علمه الرب عز و جل أن يركب الخشب على الخشب بالمسامير عملها نوح عليه السلام، وبدأ يصنع سفينة عظيمة في صحراء، وبدأ الناس يمرون عليه ويقولون له، يا نوح أجننت يا نوح كنت تدعون إلى دينك كنت تنصحنا

[1] - عثمان الثقافي : الصحراء ، التفاعل الإجتماعي و تشكيل الهوية: المجلد . العدد 3 ، السنة 29 مارس 2023 .

الموقع الإلكتوني omanailv com // : www . الساعة 14:42 ، التاريخ 2أفريل 2023 .

كنت تعلمنا ونحن لا نؤمن بك ، لكن أن تصنع سفينة في صحراء قاحلة من يفعلها إلى المجانين «ويصنع الفلك وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه» [1] ضحك استهزاء سخرية إتهام نوح بالجنون ونوح يصبر، بل نوح عليه السلام كان يرد عليهم إذا هناك يوم سنقف فيه عند الله عز وجل و ترون من الذي يسخر من الثاني « ويصنع الفلك و كلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه قال إن تسخروا منا فإنا نسخر منكم كما تسخرون 38 فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه و يحل عليه عذاب مقيم 39 .»[2]

والناس سنوات طويلة تتعجب، ما بال هذا الرجل بدأ يصنع سفينة في أرض لا نهر فيها، في مكان لا بحر فيه جبال وصحراء.[3]

ما يمكننا قوله بأن الصحراء كانت لها علاقة وثيقة مع الأنبياء فهي مهبط الأنبياء .

"فالصحراء منجم لقيم التحمل والتأمل والصبر وصفاء الذهن ورؤية ما لا يراه إنسان المدينة."[4]

وبهذا نستنتج بأن الصحراء في النثر كانت حاضرة منذ القديم في القصص، ومن ثم أصبحت محل اهتمام الشعراء و الروائيين .

ب- حضور الصحراء في الرواية.

لا شك أن الصحراء قد فرضت نفسها على الإبداع الأدبي العربي فاحتلت مساحة واسعة من المتون السردية ضاربة بذلك مقولة أن القص والحكي لا ينهض إلا الفضاء المديني، ذلك الفضاء الذي ما انفك يمنع فجائع الإنسان العربي وهزائمه، ويرمي به في لجج من الحزن والموت والدمار. فلم يجد بدا من الأوبة إلى مسقطه إلى ماضيه، إلى موطنه الأول " الصحراء" بكل ما تحمله من سحر وغرابة من شساعة ورحابة، من تراث من أساطير من رهبة وعزلة، كل

---

[1]- سورة هود الأية 38.

[2]- سورة هود الأية 38، 39 .

[3] - مُحَمَّد متولي الشعراوي : قصص الأنبياء: دار حسن مُحَمَّد ، مصر ، (دط) ، 2006 ص23،24 .

[4]- عثمان الثقافي : الصحراء ، التفاعل الإجتماعي و تشكيل الهوية ، الموقع الإلكتوني www : // omanailv com .

ذلك فتح ذراعيه ليحتضن الإنسان الروائي العربي مرة أخرى كذلك الوطن الذي يحتضن أبناءه بعد طول هجره وغياب .

- **حضور الصحراء في الرواية العربية .**

تعد الرواية الفن الأدبي الأكثر بروزا و تطورا في العصر الحديث ، فكانت موضوعاتها مختلفة باختلاف مؤلفيها فنجد اهتمام بعض الروايات على قلتها بالصحراء.

حظيت الصحراء باهتمام الروائيين الذين هدفوا إلى إبراز جمال هذه الطبيعة العذراء المتمثلة في الصحراء، فتناولوها في أعمالهم السردية، واتخذوها فضاء لرواياتهم، وقد عرفوا بروائي الصحراء ومن الروائيين الذي تحدثوا عن الصحراء في أعمالهم نجد الروائية "ميرال الطحاوي" في روايتها "الباذنجانة الزرقاء" "الخباء" والروائي "صبري موسه" في روايته "فساد الأمكنة" و"غسان كنفاني "في روايته" ما تبقى لكم " و "مُحَمَّد السعدي" في رواية "حدثني أبو هريرة قال .... والسد"[1]

ومن بين الروائيين الذين أكثروا من توظيف عالم الصحراء في رواياتهم هما ابراهيم الكوني وعبد الرحمان منيف.

فالكوني يعتبر من الأوائل الذين وظفوا الصحراء في أعمالهم السردية ورسم الصحراء في عزلتها الكونية وعذريتها ومن أهم هذه الأعمال نذكر (السحرة، التبر، نزيف الحجر، المجوس....)

فصلاح صالح يرى بأن المكان الصحراوي كان « نوعا من الضالة المنشودة عثرت فيه الرواية العربية على بعض ما تصبو إليه من امتلاك خصوصية الهوية، إذ كان العثور عل أمكنة عربية خالصة من أيسر السبل وأكثرها ارتدادا

[1] – ديوان الأمير عبد القادر، شر وتح، ممدوح حقي، دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة ، مطبعة دمشق ، ص 22، 23 .

لإنشاء رواية عربية تسعى إلى قطع وشائجها المتبقية مع الرواية الغربية التي تم احتذاؤها في بداية التأليف الروائي العربي شكلا ومحتوى» [1]

فالصحراء فضاء واسع ممتد أصبغ الرواية العربية هوية مكانية خاصة ارتبطت ببدايات الإبداع فهي " تضم كمية هائلة من التاريخ العربي، على كافة المستويات السياسية والدينية والثقافية وربما كانت اللغة العربية أهم ما أنتجته الصحراء، كما أنها كانت مسرحا هائلا لعدد كبير من الوقائع التاريخية الكبرى التي تشكل المحور الرئيس لتاريخ الإنسان ووجوده على مختلف الحقب التاريخية"[2] وهذا ما جعلها عالما ثريا بالدلالات يقوي الخيال السردي .

فضلا عن كونها "فضاء مليء بالرموز التي تولد رؤى فكرية خاصة بها، مما يعطي نصوصا متميزة ومتخمة بالدلالات"[3]

والصحراء في الرواية العربية هي أيقونة الموت، الموت بكل أبعاده المعنوية والروحية والجسدية والنفسية" قبل الموت هناك " انتظر الموت" .[4]

[1] – ميرال الطحاوي: محرمات قبلية (المقدس وتخيلاته في المجتمع الرعوي روائيا): المركز الثقافي العربي ، بيروت ، لبنان ، ط1: 2008 ص 28.

[2] – ح.د سروة يونس أحمد: دلالات الصحراء في البحث عن المكان الضائع لابراهيم الكوني، العدد 81 ، قسم اللغة العربية، كلية الأداب، جامعة الموصل، العراق، تاريخ التقديم 2020/4/3، تاريخ القبول 2020/5/10، ص 327،328 .

[3] –بلبلي عواطف: جديد صالح: رمزية المكان الصحراوي في الرواية العربية رواية الدراويش يعودون إلى المنفى لإبراهيم الدرغوثي، أنموذجا: جامعة الشادلي بن جديد، الطارف، الجزائر، مجلة إشكالات في اللغة والأدب، مجلد 9، عدد 5 ، السنة 2020، تاريخ الإرسال 2020/04/15، تاريخ القبول 2020/10/4، تاريخ النشر 2020/4/25، ص368.

[4]– حسين بوحسون: فضاء الصحراء جدل المكان و الإنسان: مجلة دراسات، جامعة بشار، الجزائر، العدد الثاني، ديسمبر 2012 ص 157 .

أما في أدب الكوني نجد بأنها بقدر ما هي موت هي كذلك حياة فهي موت وميلاد معا." فالرواية العربية وظفت مميزات الصحراء العامة والخاصة في نسيج روائي متكامل من زوايا متعددة ورؤى مختلفة."[1] وبهذا نجد أن نظرت الروائيين العرب إلى الصحراء تنوعت وتعددت .

ومن هنا نستنتج أن الأدب السردي العربي قد عرف مع روايات الصحراء ظهور نصوص سردية تجعل شخوصها وحكاياتها وتأملاتها تستوطن الصحراء.

- **حضور الصحراء في الرواية الجزائرية .**

من خلال ما ذكرنا سابقا حول حضور عالم الصحراء في الرواية العربية نجد هذه الأخيرة تفرض نفسها وبقوة على النص الروائي الجزائري بحكم جاذبيته، ورائع طقوسه وعاداته وتقاليده الساحرة الأسرة، كما يرى الروائي الجزائري عبد القادر ضيف الله أن ظاهرة الكتابة الجديدة التي تعتمد مخايل فضاء الصحراء في الرواية الجزائرية التي لفتت إنتاجها النقاد وينقلها للكتابة الروائية من العوالم الروائية الشاسعة في الرواية العربية التي تعتمد فضاء المدينة وعناصرها وأجواءها وحارتها و ضجيج شوارعها و علاقتها المعقدة بين ساكناتها و امتدادها الريفي إلى عوالم روائية مختلفة تعتمد الفضاء الصحراوي المتفتح والواسع والغني بالأخبار والوقائع الأسطورية والسحرية المبنية على جمل من المأثورات الشفوية التي تمتاز بها البيئة الصحراوية ....."[2] فالروائيين الجزائريين يبحثون عن التجريب من خلال خلق أجواء أسطورية و غرائبية.

اهتمت بعض الروايات الجزائرية على قلتها بالعالم الصحراوي وهي ظاهرة جديرة بالانتباه وحاولت أن تبرز بعض مكوناته الجمالية من رمال ونباتات وحيوانات، ومحور عذا العالم الإنسان الذي استوطن هذا المكان منذ أقدم العصور وتفاعل معه، وترك بصمات واضحة تدل على معاناته الطويلة، وتكيفه مع خصوصيات الصحراء وتقريعا

[1] – ينظر حسين بوحسون : فضاء الصحراء جدل المكان و الإنسان ص157 .

[2] – حضور الصحراء في الرواية الجزائرية الإحتفاء على ذرات الرمل لحميد عبد القادر 29 أبريل 2018 ، فمقال دكتور عبد القادر ضيف الله ظاهرة إبداعية لفتت انتباه النقاد ، ضفة تالثة، منير ثقافي عربي.

لجمالية العالم الصحراوي."[1] فالصحراء ليست رمالا وفضاء مفقرا من الحياة بل هي موطن السحر والجمال ومن بين الروايات التي تعد صورت روعة الصحراء وجمالها وشساعتها و بهاء تخيلها رواية " تيميمون" لرشيد بوجدرة كما أيضا يتحدث عن ندرة الأمطار فيقول "«الصحراء التي تنخر جسمي وتجرح بشرتي وتحرق جفوني وتلهب صدري من فرط جفاف الجو ».[2]

كما نجد استثمار الفضاء الصحراوي لدى بعض الروائيين في بناء أعمالهم الروائية وقد أصبح هذا الفضاء ضاجا بالحياة من منطلق أن معطي السكون والفراغ من رؤية فلسفية تخيلية ينتج حياة تدعو المتلقي إلى سؤال الذات وما يحيط بها من العالم الخارجي، فالفضاء الصحراوي له خصوصية ثقافية وفكرية . فقد حاولت الروايات الجزائرية أن تبرز محور العالم الإنساني الذي استوطن هذا المكان وتفاعل معه وتكيفه مع خصوصيات الصحراء بالإضافة إلى معاناته الطويلة التي تركت بصمات واضحة ومن بين الروايات الجزائرية " رواية صحراء الظمأ: لأخضر بن السائح والرواية بأكملها تمثل عالم الصحراء تصور لنا الرواية رحلة في الصحراء مليئة بالمغامرات الشيقة تتميز بشساعتها وحرارتها إذ تشتهر بأجمل غروب وتتميز بجبالها لعربية و البديعية في تركيبها."[3] وأيضا رواية " تنزروفت: لعبد القادر ضيف الله التي تعتبر علامة من علامات الرواية الجزائرية التي قامت بتوظيف الفضاء الصحراوي خلال مسار الرواية."[4] وتلك المحبة (للحبيب السائح) واعترافات اسكرام " لعز الدين ميهوبي" ووادي الحناء "لجميلة طلباوي" بالإضافة إلى الصديق حاج أحمد الزيواني، قدم مغارية الفضاء الصحراوي سرديا بدءا من تجربة ابراهيم الكوني باعتباره الفاتح لهذه

[1] – سليمان قوراري: تجليات عالم الصحراء في النص الروائي الجزائري: (مملكة الزيوان أ نموذجا) ، مجلة سارب الإلكترونية .

[2] –رشيد بوحدرة: تيميمون: المؤسسة الوطنية للإتصال والنشر والإشهار، دالي إبراهيم ، الجزائر، ط1، 1994 ، ص 42 .

[3] – الأخضر السائح: صحراء الظمأ ، دار التنوير ، الجزائر، ط1: 2013 .

[4] –عبد القادر ضيف الله: تنزروفت ، ط1: 2013 .

السرود بالرواية العربية هذه الأعمال الأدبية الجزائرية التفتت إلى الفضاء الصحراوي وكسرت تلك الصورة النمطية من كون الصحراء فراغا فتمكنت من إعادة صياغة هذا الفراغ وإعطائه نظرة تأملية وجودية عن كينونة الإنسان"[1]

وبذلك تكون رواية الصحراء رواية لها خصوصيتها الفنية والاجتماعية والثقافية صادرة من أبعاد البيئة الصحراوية.

3- جدلية الرجل و المرأة .

حظيت الصحراء باهتمام الكثير من الكتاب فجسدوها في كتاباتهم شعرا و نثرا ، كما تطرقوا عبرها إلى صورة كل من الرجل و المرأة .

إن المرأة الصحراوية أكثر حضورا من الرجل ،و صورتها أكثر ألقا من صورته ،والمتعارف عليه أنه حينما يهتم شعراء و حكماء و أدباء أمة يشخص و يخلدونه في انتاجهم فهذا لا يأتي من فراغ إنما لأن ذلك الشخص المخلد قد استحق أن يتمم الحديث عنه و تخليده لقيامه بدور ما في الحياة الجماعية لمجموعة بشرية ما. إن الذي سيفاجيء أي باحث أو مجرد قارئ بسيط للأدب والثقافة الصحراوية هو أن المرأة نالت الحظ الأوفر من الذكر ومن الحضور والتميز وبمفردات العصر الحالي ،نقول يتجرد كامل من أي مبالغة واعية أن المرأة الصحراوية قديما اسند لها دور البطولة في الثقافة والموروث الأدبي الشعبي الصحراوي.[2] ففي كل ما وصل لنا بالتواتر من منتوج أدبي ثري، كانت المرأة هي البطلة واللاعبة رقم واحد، وهي العمود الفقري للحكايات، القصص، الأمثال والأحاجي الشعبية وفي الطقوس أيضا، إن الذي نستخلصه من حضور المرأة في كل صنوف الإبداع الأدبي والثقافي الصحراوي هو انعكاس لمكانتها جد المعتبرة في مجتمعها القديم والحديث ولم يقتصر حضورها على الأدب فقط بل نجد لها في العادات والتقاليد الصحراوية والطقوس وهو ما لم يحصل مع الرجل .[3]

[1] – قناة الشروق، لقاء صحفي مع الكاتب صديق حاج الزيواني ، الجزائر ، 11أفريل 2018 .

[2] – حمدي يحظيه: المرأة الصحراوية، صورة المرأة الصحراوية في الثقافة الشعبية: العدد 2 ، الجزائر ، 2018، (د ص).

[3] – المرجع نفسه.ص35.

هي امرأة تعيش بعيدا عن الضوضاء ،و بعيدا عن الأضواء اختارت أن تعيش على أرض الصحراء القاحلة ، هذه المرأة التي قاست بأنوثتها مع خشونة الحياة و طبيعة الصحراء القاسية ،ونمط العيش الذي يكاد يتكرر بشكل يومي حتى تشابهت به الأيام. فلم تنكسر أنوثتها أمام قساوة مناخ الصحراء وتقلبات الزمن و اكتفت بالبقاء امرأة أصلية صدوقة قنوعة تصون العرض وتعيش في مودة مع الرجل، هذا الرجل الصحراوي الذي يقدرها بشكل لا يوصف في مجتمع قبلي صحراوي جعل من المرأة ركيزة أساسية محدد لكرامته ، فكيف لا يكون ذلك و هي من تنسج خيوط الخيمة التي تحمي الرجل والمرأة من تقلبات مناخ الصحراء وتجمعهما معا كنسجها لباقي تفاصيل الحياة من اهتمام بشؤون الخيمة وتربية الأطفال أمام انشغالات الرجل.[1]

فمثلا حين نعالج موضوع الأقوال الشعبية الصحراوية نحبذ استعمال مصطلح القول الشعبي بدل المثل الشعبي، لابد أن نكشف أن ما خصص منها للمرأة هو أكثر منه بكثير مما تم تخصيصه للرجل. فهناك قول صحراوي يجسد صبر المرأة يقول " لمرا تكد تبني ياسر من لخيام و الراجل ما إكد يبني وحدة " (المرأة تستطيع أن تبني أكثر من خيمة في حين أن الرجل لا يستطيع أن يبني واحدة) والمراد من هذا القول أن الرجل رغم قوته الجسدية و ادعائه التفوق على المرأة في كل شيء إلا أنه يفتقد قوة طبيعية أخرى لا تمتلكها إلا المرأة هي قوة الصبر والجد، فكما نعرف جميعا فإن نسج وصناعة خيمة من الوبر هو مهمة في غاية الصعوبة والتعقيد وتحتاج زمنا طويلا من المعاناة وبرودة الأعصاب.[2] وإذا كنا نعتقد أن هذا ليس هو التفسير المقصود لهذا القول فظنه من جهة أخرى قد يعني وهذا هو الأرجح، أن المرأة بصبرها ولباقتها تستطيع أن تنظم و تتحكم في تسيير مخيم عائلة كبيرة من الأبناء والبنات وهو ما لا يستطيع الرجل القيام به.[3]

[1] – مُحَمَّد الكبش: مدونات لتلك المرأة سأنحني: الجزيرة ، 2017 .

[2] – حمدي يحظيه: المرجع السابق.

[3] – المرجع نفسه، ص 10.

وإذا كان الذين لا يعرفون الصحراء ينظرون إلى المرأة في هذه المنطقة على أساس أنها في مرتبة أدنى من مرتبة الرجل بحكم التخلف التقني، فإن الصحراويين، حسب ما وصل إلينا من أمثالهم وأقوالهم ينظرون إلى المرأة على أساس أنها تقف كتفا لكتف إلى جانب الرجل فمن بين ما يقولون عن الخيمة " أن الأب والأم هما الركيزتان، وأن الأبناء الذكور هم أعمدة الخيمة التي نقر فيها وأن البنات هن الأوتاد .[1]

وهذا القول الصحراوي يعكس أن المجتمع الصحراوي البدوي كان ينظر إلى أن دور الرجل والمرأة في الخيمة على أساس أنهما متساويان أي أن دور الرجل والمرأة في الخيمة على أساس أنهما متساويان، أي أن الرجل بمثل إحدى الركائز والمرأة تمثل الركيزة الثانية. هذا يرمز إلى نوع من المساواة، قد لا يكون بالضرورة ماديا متلما هو حال الركيزتين اللتين تقف عليهما الخيمة

في قول أخر نجد ما يلي: "للي شق الراجل ترقعو للمرا (ما يمزقه الرجل يمكن أن ترقعه المرأة"[2] أي ما أفسده الرجل في الأسرة يمكن أن تعالجه المرأة بصبرها وحنكتها "

نستخلص من هذا القول أن المرأة لها دور كبير في المجتمع الصحراوي فهو دور بناء وإصلاح كما يؤذي الدور الأكبر في الحياة المعيشية.

[1] – المرجع السابق، ص 10.

[2] – المرجع نفسه، ص 12.

الفصل الثاني:تمظهرات المتخيل الصحراوي في رواية مملكة الزيوان

تمهيد :

I- دراسة المتخيل الصحراوي في الرواية الجزائرية:

1: موضوعة الطبيعة في الرواية

2: موضوعة العادات والتقاليد في الرواية

II- دراسة الإنسان و تجلي الأسطورة في الرواية

01: جدلية الرجل والمرأة في الرواية

2: حضور الأسطورة في رواية مملكة الزيوان:

الفصل الثاني:تمظهرات المتخيل الصحراوي في رواية مملكة الزيوان

تمهيد :

الصحراء هذا المكان البكر النقي، معلم الحرية والخلاص والترحال والجحيم المحبوب لأهله، فالصحراء فضاء ألهم الروائيين حيث فرض نفسه بقوة وذلك بحكم جاذبيته وطبيعته الساحرة وروائع طقوسه وعاداته وتقاليده المميزة وطريقة العيش لدى الإنسان الصحراوي وتحديه كل ما يواجهه من صعوبات. وهنا نستحضر رواية" مملكة الزيوان " للروائي " الصديق أحمد حاج الزيواني" الذي رصد لنا في روايته قصصه والحياة الاجتماعية والروحية في الصحراء التواتية محاولا الكشف عن أساطيرها ورموزها ورمالها وتقاليدها ومعتقداتها الدينية، فالراوي هنا اختار الصحراء ليخرج منها المعاني والدلالات المؤثرة في نفس القارئ ويؤلف منها روايته.

I- دراسة المتخيل الصحراوي في الرواية الجزائرية:

1- موضوعة الطبيعة في الرواية.

تعرف الطبيعة بكونها مصطلح شامل يضم العالم الطبيعي، وهي تتضمن كل ما يوجد في الكون من مظاهر حياة مختلفة تضم الجبال والأنهار والحيوانات والنباتات وغير ذلك، وتختلف طبيعة المكان باختلاف مناخه وتضاريسه فالطبيعة الصحراوية تتميز بمناخ قاس وطقس حار، يصعب فيه العيش عند مختلف الكائنات (إنسان، حيوان، نبات).

ولعل الطقس الحار الذي غلب على الصحراء أخد حيزا كبيرا لدى العديد من الأدباء والكتاب فقد كانت الطبيعة الصحراوية مصدر للعديد من الروايات إذ يحمل المكان الصحراوي بعدا ثقافيا ومعتقديا لذلك تعامل معه الروائيين فقد كان حضور الطبيعة الصحراوية في النصوص الأدبية أمرا يرفع من مستوى العمل الفني والإبداعي لأنه يجري بمعزل عن المجتمع المبدع وبيئته بمختلف أبعادها ومن بين الأدباء الذين تحدثوا عن الطبيعة الصحراوية وتعلقوا بها نجد الروائي الليبي" ابراهيم الكوني" وكذلك " عبد الرحمان منيف" و" الصديق حاج أحمد" الذي يعد من أبرز الروائيين الجزائريين الذين كتبوا عن الصحراء نستحضر بذلك روايته "مملكة الزيوان" حيث رسم لنا الراوي بقلمه الجميل الطبيعة الخلابة لمدينة نخيلها.

رغم طبيعة الصحراء القاسية وجفاف مناخها وقلة مياهها، كلها عوامل أثرت فيها إلا أن الإنسان استطاع التأقلم معها والعيش فيها، فقد تعددت دلالات الصحراء واختلفت بين دلالات إيجابية وأخرى سلبية نجد ذلك في الرواية من خلال ما ذكره الكاتب.

أ- الشمس الصحراوية:

وهي من المكونات الطبيعية في البيئة الصحراوية، فقد تناولت رواية " مملكة الزيوان" الشمس الصحراوية بجانبها المحرق ويتضح هذا من خلال قوله:" المهم إن صداقة الشمس الحارقة مع سطوة المكان عليه، جعلناه يتصبب عرقا فمسح العرق بطرف عمامته الكاكية، ما شكل العرق منه أودية من على سحنة جبهته ورقبته ومباطن إبطه"[1]

[1] الصديق حاج أحمد الزيواني: رواية مملكة الزيوان: فضاءات للنشر والتوزيع،عمان، الردن، (د ط)، (د ت)، ص 6.

ويقول أيضا: " ذات يوم من أيام الصيف الحارقة"[1] كما نجده يقول: " اكتسب من والده التواتي السمرة المفتوحة عند جيدنا المصهدة بحر قيظ صمائم صيفتل، المحروقة ببرودة دجنبرنا الجاف"[2]

يعاني الإنسان الصحراوي من أشعة الشمس القاتلة على طول السنة، فالشمس الصحراوية تتميز بحرارتها ولهيبها وأشعتها التي تحرق الجميع فهي تقسو على البشر بصفة كبيرة وعلى الكائنات الحية العامة.

كما نجد الكاتب قد أعطى الشمس بعدا جماليا، وهذا حين صورها وقت الغروب والشروق تعطي بذلك لوحات فنية من صنع الخالق، يعجز الفنانون عن نقلها. وقد صور لنا هذا في قوله:" كان الوقت ساعتها لما كنا بسبخة البور، قد بدأت الشمس في الاصفرار"[3]

كما نجد في قوله:" كشروق الشمس خلف كتبان عرق الرمل زمن الصيف"[4]

" كانت تلك الشرفات ترسم أشعة الشمس الصباحية المشرقة، وبنفس القدر والحجم، على الحائط المقابل له من تلك الساحة الفسيحة الفاصلة بينهما"[5]

وبناء على ما ذكرناه سابقا فإن الراوي نقل إلينا الشمس ببعديها السلبي والإيجابي فقد كانت قاسية على الكائنات الحية بحرارتها ولهيبها مما جعل الكثير يفرون منها، غير أنها تكسب الإنسان لحظات رائعة يعيشها مع الشروق والغروب فغروبها يجمع الصحراء والجمال، تصبح رمال الصحراء ذرات من الذهب الصافي اللامع، فشروق الشمس وغروبها لوحة ملهمة تفيض رونقا وجمالا تتألق فيها الألوان، ويسود إحساس بالسكينة والهدوء وسط مفردات الطبيعة المنسجمة.

[1]-المصدر السابق، ص 5.
[2]-المصدر نفسه، ص 58.
[3]-المصدر نفسه، ص 5.
[4]-المصدر نفسه، ص 29.
[5]-المصدر نفسه ، ص 50.

فبالرغم من الشمس الحارقة والحرارة المرتفعة الذي كان يشهدها المناخ الصحراوي لمدينة أدرار على مدار السنة خاصة في فصل الصيف ، إلا أنه يعرف طقسا باردا في فصل الشتاء على مختلف المناطق، ففي فصل الشتاء يكون البرد شديد ومن شدته يلجؤون إلى تقريب بيوتهم إلى بعضها ليخفف منه، كما استعملوا النار للتدفئة أيضا، وفي هذا نجد الزيواني:" كما كنا في زمن الشتاء، نأتي لسدينا بالحطب والزيوان من السباخ، فيوقده لنا بغرض تدفئتنا حين شتوتنا، لقلة اللباس على لحمنا، وما تبقى منه كان يستعمله ببيته مع أسرته"[1]

كما نجده في موضع آخر يصف أحد أيام الشتاء الباردة، حيث خرج رفقة صديقه الداعلي للتنعم بدفيء الشمس يقول:" في صباح أحد أيام الشتاء الباردة، خرجت رفقة الدا علي نتشمس وننعم بدفيء الشمس بالساحة المحاذية للقصبة ، وبينما نحن نرتعد من شدة البرد ....ظننا أولا أنه يستعطف رجفتنا ورعدتنا من البرد"[2]

ومنه نجد بأن المناخ الذي كان يسود ولاية أدرار عامة ومنطقة توات خاصة شديد الحرارة صيفا على مختلف المناطق بارد جاف شتاء.

ب- الرمال الصحراوية:

تحتل الرمال مساحة كبيرة من الصحراء إذ تعد من أهم المكونات الطبيعة لها، فكلما ذكرت الصحراء ذكرت الرمال والعكس صحيح فبعد اطلاعنا على الرواية وجدنا بأن الراوي لم يتطرق لوصف الرمال والحديث عنها بكثرة فقد أشار إليها فقط.

في قوله:" فحفرت لي أمي حفرة صغيرة في الرمل بمقدار مقعدتي الذي هو فراش البيت وليس لنا غيره، ووضعتني فيها، وكنت أستشعر سخونة حبات الرمل"[3]

فقد كانت الرمال الصحراوية تتميز بسخونة حباتها حيث اتخد منها الصحراويون فراشا لهم.

---

[1]- المصدر السابق، ص 71.

[2]- المصدر نفسه، ص 52.

[3]- المصدر نفسه، ص 39.

وفي موضع آخر يقول:" كان الرمل الأصفر المفترش لفم الحفرة، يرسم تضاريس أرجل وأثار زحف للحشرات"[1] فقد وصف لنا الكاتب الرمال الصحراوية بلونها الذهبي التي يتعطش الناظر إليها حتى تكاد تكون أجمل لوحة فنية.

تعتبر الكثبان الرملية التي تغطي مناطق شاسعة من الصحراء إحدى المعالم المتميزة والمشاهد لا يخلو من الدهشة لبساطة تكوينها ونظام تشكلها.

فعلى الرغم من توظيفها القليل في الرواية إلا أنها ذكرت في بعض الصفحات وهذه دلالة على أهميتها في الصحراء.

ت- النخلة

تمتلك منطقة الصحراء حياة نباتية متميزة بقدرتها على مقاومة الظروف الطبيعية الصعبة، حيث تعد النخلة أعظم شجرة منتجة للغذاء في المناطق الصحراوية، وللنخلة قداسة ومهابة في العقلية الصحراوية، فالرسول عليه الصلاة والسلام أوصى بالنخلة خيرا ويقول:" لا تؤذي أختك النخلة"[2]

وقد ورد في القرآن الكريم أن النخلة من أشجار الجنة يقول ﷻ:" فيهما فاكهة ونخل ورمان، فبأي آلاء ربكما تكذبان"[3]

ومنه فالنخلة تعد رمز للنماء والبركة فيها مقومات الحياة الإنسانية حيث تعتبر مصدر رزق لدى الصحراويين منها يأكلون ويصنعون بعض من الأدوات المنزلية كما تستخدم لأغراض أخرى كالظل.

وبالرجوع إلى الرواية نجد الزيواني قد استهل مطلع الرواية بقوله:" كم لك في حضرتك، وزيوانك ، نفع يا عرجون معظم الأشياء لها في حضرتها حظوة وسلوان، ولها في يبسها نكر وهجران، إلا أنت يا عرجون، وزيوانك وأمكما النخلة....[4]

---

[1]- المصدر السابق، ص 6.

[2]- المصدر نفسه، ص 6.

[3]- سورة الرحمان الأية 68 و 69 رواية حفص، ص 534.

[4]- الصديق حاج أحمد الزيوان، المصدر السابق، ص4.

فقد استهل كلامه بالحديث عن النخلة وذلك لمالها من بعد دلالي رمزي في معتقداتهم التقليدية.

ففي الرواية نجد الراوي قد استحضر النخلة في العديد من المواضع، وذلك لتعدد استعمالاتها. كانت النخلة مصدر غداءهم لما تنتجه من تمور مختلفة الألوان والأذواق التي تعد المادة الأولية في تحضير العديد من الأطعمة التقليدية الصحراوية. في هذا نجده يقول:" وقبل أن تقوم أمي من حفرة مخاضها قدمت لها عيشة أمباركة سفة من التمر اليابس المكسر"[1]

كما يستخدم جدع النخلة الجاف في تسقيف البيوت وإقامته كعمود أساسي يقوم عليه البيت وهنا نستحضر قول الكاتب:" سقفت سقيفاته بخشب جدع النخل"[2] ويقول أيضا:" صنع هذا الباب من أخشاب جدع النخيل المتراصة المتينة"[3]

كما نجدها تستعمل لغرض آخر حيث تصنع من الأدوات المنزلية المختلفة من مخلفاتها (الجريد الخوص والليف) كالأدوات التي تستخدم في الطبخ وحمل الطعام.

يقول:" وجيء بالقصعة الخشبية المغطاة بالمكب"[4] ويقصد بالمكب هو غطاء هرمي مصنوع من الزيوان المنسوج بالسعف اليابس، فقد كان الصحراويون يستخدمون بعض أطراف النخيل في صنع الأواني المنزلية.

فقد تعددت استعمالات النخيل حيث صنع منه بعض أدوات الصيد عند أهل توات ونذكر من الرواية:" فاستلفنا فخا مقوسا للصيد من عند عليليل، مصنوعا من الزيوان المقوس"[5]

بالإضافة إلى ما ذكرناه نجد استعمالات أخرى كالتدفئة فكانوا يستعملون بقايا النخيل لإشعال النار.

---

[1]- المصدر السابق، ص 18.

[2]- المصدر نفسه، ص 35.

[3]- المصدر نفسه، ص 50.

[4]- المصدر نفسه، ص 30.

[5]- المصدر نفسه، ص 80.

وبناء على ما ذكرناه سابقا فإن النخلة تعتبر مصدر أساسي وأولي في حياة أهل الصحراء، تكمن أهميتها في كونها المصدر الذي لا ينضب للرزق، والظل الفارغ الذي يمتد على رمال الفيافي يقي المسافر حر الشمس ولهيبها، وكل سكان الصحراء يعيشون على التمر سواء بالاستهلاك المباشر أو عن طريق المقايضة.

ج- الحيوان:

إن الحيوانات التي تعيش في المناطق الصحراوية قليلة جدا بسبب فقر الحياة النباتية وقد وهب الله هذه الحيوانات خصائص معينة تستطيع من خلالها التكيف مع الظروف القاسية في المناطق الصحراوية.

من بين الحيوانات التي وظفها الكاتب في الرواية الحمير فقد كان يستخدم كوسيلة للتنقل في الصحراء فمن الرواية نستحضر قول الكاتب:" في أحد أيام الخميس التي كنا لا ندرس فيها بالكتاب حملني الفضول أنا ودا علي بمرافقة والده لزيادة السباخ عصرا فركبنا نحن الاثنين على حمارنا الأبيض المكسر بياضة، ورافقنا والده راجلا ممسكا بديله، فانطلقنا لجهة الغرب أسفل القصر... لا أثر فيه إلا أقدام الحمير وحوافرهم وبولهم وروثهم."[1] فالحمير كان ولا زال في بعض المناطق يستعمل كوسيلة للتنقل بين المسافات البعيدة كما يحملون عليه أغراضهم عند السفر.

وأيضا يقول:" وقد كنت ساعتها بسبختنا رفقة عليليل، فوضع كل منا بردعته على حماره وقفزنا على حميرنا نتسابق ونقطع الطريق الموصل إلى السباخ، حتى شارفنا القصر"[2]

فقد ذكر إلى جانب الحمير بعض الطيور، كطائر اليمام العقارب والخنافس والفئران والقطط و الثعابين.

يقول الراوي واصفا لنا أحد الأمسيات وأصوات الحيوانات من كل جهة." كان هديل اليمام على النخيل، ونهيق الحمير المتقطع في فضاء السباخ غالبا في تلك العشية ويقطع إطباقها المخيف."[3]

[1] المصدر السابق، ص67.

[2] المصدر نفسه، ص111.

[3] المصدر نفسه، ص67.

2- موضوعات العادات والتقاليد في الرواية

تتميز المجتمعات بمجموعة من العادات والتقاليد وتختلف من مجتمع لآخر ومن مدينة لأخرى كونها الميزة التي ينفرد بها الأفراد عن غيرهم من المجتمعات فالعادات والتقاليد نعني بها الممارسات والسلوكات التي درج الناس على عملها أو القيام بها وتكرر الفعل بها حتى أصبحت مألوفة.

ونجد أحمد مصطفى يعرف العادات" بأنها السلوك المكتسب الذي يشترك فيه أفراد شعب معين... كما أنها ظاهرة اجتماعية تمثل أسلوبا اجتماعيا بمعنى أنها لا يمكن أن تتكون وتمارس إلا أن بالحياة في المجتمع والتفاعل مع أفراده وجماعاته ومن أمثلة العادات التي توضح الأسلوب الاجتماعي في التصرف عادات التحية، تقديم الهدايا، أو إرسال برقيات التهنئة في المناسبات السارة...[1] أي أن العادات سلوك متكرر مكتسب اجتماعيا.

"والتقاليد سلوك فردي تبنته الجماعة وتوارثته جيلا عن جيل ومجموعة القواعد والسلوك التي تخص طبقة معينة، أو ترتبط ببيئة محدودة النطاق"،[2] أي أنها مختصة بإقليم معين أو طبقة معينة.

وتلتمس في رواية مملكة الزيوان حضور مجموعة من العادات والتقاليد التي تعد من أكثر الأمور التي تتصدر حياة منطقة أهل توات الصحراوية، فقد نشأ الفرد التواتي وترعرع عليها، فكان لها دورا فاعلا في التكوين العقلي والنفسي للمجتمع.

فقد رسمت هذه العادات والتقاليد صورة شخصية الفرد التواتي وطبيعة تشكله وما تحمله من دلالات اجتماعية ونفسية.

---

[1]- دراسات في التراث الشعبي، فاروق أحمد مصطفى ومرفت عشماوي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، (د ط)، 2011، ص 32.

[2]- في مفهوم الثقافة وبعض مكوناتها (العادات والتقاليد، الأعراض): لزهر مسادرة: مجلة الذاكرة، مخبر التراث الأدبي في الجنوب الشرقي الجزائري، ميلة، الجزائر، (دط): 9 جوان 2017. ص 37.

ومن بين هذه العادات والتقاليد التي امتاز بها أهالي منطقة توات: الولادة وطقوسها، الختان، زيارة الأولياء الصالحين، طقوس الموت، السحر، كرم الضيافة، اللباس والأواني، القصور الطينية، اللهجة التواتية، الأغنية الشعبية، الأمثال الشعبية.

أ- طقوس الولادة و الختان و الموت

- **طقوس الولادة:**

نظرا لقلة المستشفيات في القرن الماضي كانت الولادة المنزلية الطريقة الوحيدة المتبعة، وذلك بحضور الداية أو القابلة.

ففي الرواية يصف لنا الزيواني حرارة استقبال المولود الجديد في العائلة حيث ذكر لنا مراحل بدأت بالوحم الذي شمل الفترات الأولى، من الحمل وفيه تشتهي المرأة تناول طعام معين.

وقد استحضر لنا الراوي ذلك في قوله:" بعدما قضيت معها صداقة دامت تسعة أشهر، كانت تعكر صفوتها، فترات من الوحم، واختلاط المزاج، في حب الأطعمة وكرهها فأحيانا تشتهي أطعمة ليست في فصلها وأحيانا ترغب في أشربة لا قبل لنا بها.[1] فترة الوحم تختلف من امرأة إلى أخرى فهناك من تشتهي أطعمة وفاكهة حلوة وهناك من تشتهي أطعمة مالحة وفاكهة حامضة.

وبعدها مباشرة ينتقل للتفصيل في كيفية اشتداد المخاض على الأم وكيف ساعدتها الداية في وضع مولودها بقوله:" حين تقلصت عضلات رحم أمي وقدفت بي إلى هذا الوجود المبكي يا سادتي، أول شيء حاولت القيام به، أني استهللت صارخا، بيد أن ما يمكنني ذكره من أمر هذه اللحظة الأولى، التي شممت فيها هواء أرض الزيوان... لولا عناية الله من أبناء القصور من أمثالي وتشابك أيدي القابلات... رسمت لي أول مهد، ترسو عند قوارب لحمي الدافئ بحرارة رحم أمي ومسالك ولادتها العسيرة."[2] وهنا يكون الولد قد استنشق أول نسمات هواء الزيوان وخرج إلى عالم جديد.

---

[1]- الصديق حاج أحمد الزيواني: المصدر السابق، ص17.

[2] - المرجع نفسه، ص16.

وبعدها تستمر الداية ، في إكمال بقطع الحبل السري، الذي يربط الأم بالمولود"حين أحست بألم الموسى في يد عيشة مباركة بنت بلة، وهو يقطع سرتي، ويفصلني عن أمي."[1]

ثم تقوم الداية بتنظيف الولد ولفه في قطعة من قماش والدته وإعطائه لها ، يقول الراوي:

" تم لفتني عيشة مباركة بقناع أمي الرمادي البالي، الذي كان بقربها."[2]

وهنا ننتقل إلى طقوس أخرى مكملة لما ذكرناه سابقا والتي تنطلق بداية من اليوم السابع من الولادة وهو يوم التسمية (السبوع) وفي هذا اليوم يتم دبح أضحية المولود والبتي تسمى بالعقيقة، هذه التسمية تختلف من منطقة إلى أخرى.

" ولما بلغت الشمس ضحوتها الربيعية، أرسل أبي لمبارك ولد بوجمعة،... فذبح الضحية المسماة خروف الدمان"[3]

وكلمة الدمان تعني هنا الأغنام التوتية البلدية الخالصة، ذات اللحوم الطرية، وهي أغلى وأجود من اللحوم المجلوبة من السودان.

ويرتبط بطقس آخر هو حمام المولود ففي المجتمع التواتي تقوم الأم بعد الذبح يأخد الجلد وتقوم بإدخال مولودها في جوف الجلد وهنا نستحضر قوله من الرواية.

" فتمسكت أمي برجلي الأعلى، ورأسي للأسفل، وأدخلتني في جوف ذلك الجلد من جهة بطنه، وقد كان دخولي إليه كدخول نفاذ فقارة مظلمة، حتى بلغت ثلثه أو يزيد، ثم أخرجتني."[4]

وفي اليوم نفسه يقوم الوالد بإختيار إسم المولود، حيث نجد في بعض المناطق أن المولود يتخد في تسميته إسم آبائه أو أجداده إعتزازا بهم وتخليدا لهم ونستدل على ذلك من الرواية.

" قال أبي للحاضرين، وهو ينظر للطالب الحاج لكبير، ولأعمامي الكبار: لقد سميته على والدي لمرابط."[1]

---

[1]- المصدر السابق، ص17.

[2]- المصدر نفسه، ص18.

[3]- المصدر نفسه،ص 27.

[4]- المصدر نفسه، ص27.

تستمر الطقوس ليختموا بالدعاء للمولود بالخير، وبعدها يأتي ليؤذن في أذنه ليكون مؤمنا صالحا، وهي من الممارسات الاعتقادية الإسلامية "قراءة الآذان" ، والدعاء من أجل الصلاح.

يقول الراوي:" ففتح الجميع، ودعوا لي بطول العمر، والبركة، وختم القرآن والزواج وإنجاب الأولاد والأحفاد.... وقد كان والدي في هذه اللحظة قد اغتنم فرصة وجود عمي الأصغر حمو، وطلب منه أن يدخل إلى بيتنا بالقصبة، ويؤذن في أذني اليمنى".[2]

وتحمل هذه الطقوس معنى مستقل عن غيره، وهدف وجدت لأجله ،والانتقال نحو بداية جديدة.

وبعد مرور ستة أشهر من الولادة بدأ الولد يتماثل للجلوس، إذ قامت أمه بحفر حفرة في الرمل على حساب مقعده.

كما جاء في قوله:" حتى بلغت ستة أشهر، كنت حينها بدأت أتماثل للجلوس فحفرتلي أمي حفرة صغيرة في الرمل بمقدار مقعدتي، الذي هو فراش البيت وليس لنا غيرة، وضعتني فيها."[3]

ثم يأتي الزيواني ليروي لنا طقسا آخر، وذلك بعد جلوس الطفل ، ويسمى بطقس الشراطة، حيث يعني وخزات خفيفة يقوم بها أحد الكبار المتمرسين على مناطق مختلفة في الجسم لخروج دم خفيف، ويعد هذا الطقس من العادات التي كانو يقومون بها في القرن الماضي.

ونستحضر في ذلك قوله من الرواية:" عندما طلب منها ولم يأمرها في هذه الحالة بأن تخبر زوجها أ مبارك، لأن يذهب لمعلم، وهو طبيب القصر في جبر كسر العظم.... لكي يقوم لي بطقوس الشراطة . وهي وخزات خفيفة بشفرة حادة، شرطني تلات شرطات على جانب خدي الأيمن ، مابين العين و الأذن ، شكات تلك الشرطات طابعا وخاتما مميزا بالعدد III لأهل مملكة زيواننا قاطبة، وفعل كذلك على الجانب الأيسر وفوق ركبتي، وعلى ظاهر رجلي. فخرج مني دم خفيف".[4]

---

[1] – المصدر السابق، ص30.

[2] – المصدر نفسه، ص ص 30، 31.

[3] – المصدر نفسه، ص39.

[4] – المصدر نفسه، ص 40.

لننتقل بعد مرور عامين على الولد يصبح هذا الطفل بإمكانه الإستغناء عن حليب أمه وإستبداله بغداء آخر يعوضه، وهذا ما يعرف بالفطام حيث تقوم الأم بفطم ولدها لينتقل من شرب حليبها إلى البدأ بتناول أطعمة أخرى تساعد الطفل في استكمالا نموه وقد ذكر هذا في القرآن الكريم لقوله تعالى:" والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة."[1]

ونستدل على ذلك من الرواية" أقيمت لي عند هذا السن مناسبة تسمى الفطام، والأكيد المؤكد أن بدايته الأولى عكرت صفو مودتي مع أمي".

فالزيواني يرسم لنا الطريقة التي اعتمدتها أمه لفطامه، حيث وضعت القليل من الصبر المر على حلمة تدي الأم ثم بعدها يذهبون لإمام القصر فيفتلون خيطين واحد منهما أبيض والآخر أسود وعقدها سبع عقدات، يسمى بخيط قل هو الله، كما تقدم للطفل بيضة محدجة لكي يأكلها تكتب عليها بعض الآيات من القرآن الكريم ،ويتم تعليق ذلك الخيط في رقبة الولد، بعد الانتهاء من ذلك تقام وليمة للفطام.

ونوضح ذلك من الرواية خلال قول الكاتب" أن وضعت قليلا من الصبر المر على حلمة ثديها كوضع الحناء المسحوق الخضراء على الجرج ساعة شرطه.....بعدها طلبت أمي من عمي حمو قرب هذه المناسبة، لأن يذهب لإمام القصر سيد الحاج الكبير، الذي يكون قد فتل لي خيطين، واحد منهما أبيض، والآخر أسود وعقدهما سبع عقدات، يسمى بعدها هذا الخيط في أحزاب وشريعة عمتي نفوسة بخيط (قل هو الله) ، كما كتب لي بعض الآيات من القرآن على بيضة محدجة لكي أكلها، فأقاموا لي وليمة صغيرة للفطام.[2]

وبهذا يكون الزيواني قد أعطانا صورة دقيقة عن الطقوس التي يقومون بها في المجتمع التواتي أثناء الولادة وبعدها فكل طقس يحمل معنى مستقل عن غيره وهدف وجد لأجله.

[1] سورة البقرة الآية(233) برواية حفص، ص 37.

[2]– الصديق حاج أحمد الزيواني: المصدر السابق ، ص

- **الختان:** يعتبر الختان من الطقوس البارزة في مجتمعاتنا، فقد حث عليه الإسلام " يقصد به إستأصال الجلدة التي تغطي الحشفة بحيث يكون القطع من عند أول الحشفة"[1].

فالختان بكل ما يحمله من دلالات اجتماعية، فهو يتصل بالجوانب الدينية والرمزية خاصة للإنسان العربي الجزائري والمسلم وقد جاء في حديث أبي هريرة ﷺ أن النبي صلى الله وسلم قال:« اختتن إبراهيم عليه السلام بعد ثمانين سنة واختتن بالقدوم.» [2]

وفي قوله تعالى: «ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفا»[3]

إذ جرت العادة أن يتم الختان، عند المولود عندما يبلغ أسبوع، أو أربعين يوما أو عاما.

وبالعودة إلى الرواية نجد الراوي يصف لنا يوم ختانه، الذي يجمعه مع صديقه الدا علي في يوم واحد بارتداء كل واحد منهما عباءته البيضاء ويوضع الكحل في عينيهما بالإضافة إلى الطقوس التي سبقت يوم الختان من حلاقة دائرية خاصة بالأطفال التي تسمى "بالتقويريرة" والخروج بهما إلى زيارة الولي الصالح من أجل الدعاء للطفلين في جو يعمه الفرح ويقومون بوضع الحناء هذا ما يميز طقوس الختان عندهم. ونجد هذا في الرواية من خلال قوله :

"ففي عشية ذلك اليوم المهول، وبعد أن عملوا لنا حلاقة "التقوريرة" برأسينا، أخرجونا لزيادة ضريح ولي قصرنا، سيدي شاي الله على إيقاع فرقة تدندن الدندون.... فوضعوا لنا الحناء في أيدينا وأرجلنا، من طرف أكبر الشريفات بالقصر... فألبسوا لكل واحد منا عباءة بيضاء، خيطت بقيطان تنفتح فيها من الأمام ..... وكحلو عينينا بالكحل وألبسونا تمائم مربعة من الكتان الأبيض."[4]

[1]– مُحَمَّد الباز الختان: دار المنارة للنشر والتوزيع، جدة، مكة، ط1: 1414، 1994، ص 47.
[2]– صحيح البخاري: كتاب الإستئذان باب الختان بعد الكبر ونتف الإبط: حديث رقم 6298.
[3]– سورة النحل الآية (123) برواية حفص، ص6.
[4] الصديق حاج أحمد الزيواني: مرجع سابق، ص 57،ص 58، ص 60.

وبعد ما يتم تهيئة الطفل نفسيا، يستدعي الزيان مصحوبا بأدواته البسيطة المتمثلة، في سماطا صغيرا من الجلد الأحمر المدبوغ، ويطلب المساعدة من أحد أفراد عائلة الولد ليقوم بحمله، ووضع بيضة مسلوقة في فمه، ويحجبون عنه المنظر بعباءته تخفيفا منهم لرعب الطفل.

نستخلص ذلك في هذا المقطع من الرواية:

" عندما جاء الزيان، وهو يحمل سماطا صغيرا، من الجلد الأحمر المدبوغ رفقة عمي حمو، وثلاث رجال... فحملني عمي حمو، فضمني إلى صدره، ممسكا بيديه على تنية ساقي بحذي، تاركا فرجة بين رجلي المثنيتين تسمح للزيان على راحته للقيام بالمذبحة فوضع أحد الرجال الثلاثة..... بيضة مسلوقة في فمي، وغطى الثاني منها وجهي بمقدمة عبائتي."[1]

بعد الانتهاء من عملية الختان يقدم للطفل بعض الأطعمة المتنوعة التي تساعده على استرجاع قوته.

" بعد أن مرت علينا أهوال ذلك المشهد المشؤوم، ونحن نردد أخر سمفونيات البكاء ، قدمت لي أمي وللداعي قدحا طينيا مملوء بالمردود، كان موضوعا عليه نصف دجاجة، والنصف الآخر للدا علي."[2]

وحسب ما ذكره الكاتب فمن عادات أهل توات بعد الانتهاء، من عملية الختان تقام وليمة للمختون بحضور أقاربه وذلك بإعداد مختلف الأطعمة التقليدية في جو يملأه الفرح والسرور وتقديم التهاني لأهل الولد.

وسيتذكر لنا في قوله " في صباح ذلك اليوم المشهود، استيقظت سامع لضجيج النسوة الصاخب، وشاما لرائحة الكسكسي المفور المختلط برائحة أم ناس بيتنا... كان توافد النساء على بيتنا لتهنئة والدتي وقاموا وفيرا وغزيرا في ذلك اليوم حتى زوجات أعمامي الكبار قد أتين"[3]، وكما نعرف بأن للطهارة فوائد صحية على جسم الذكر لذلك فقد حث عليه الإسلام والدليل على ذلك ما ذكرناه سابقا من القرآن والسنة، فالطهارة تقلل من خطر الإصابة

[1] المصدرالسابق، ص60، ص61.
[2] المصدر نفسه، ص61.
[3] المصدر نفسه ، ص 60، ص 61.

بالتهابات الجهاز البولي كما يسهل الختان من عملية تنظيف الأعضاء التناسلية والوقاية من الإصابة بالسرطان، ويعتبر الهدف منه تهيئة الطفل لمرحلة البلوغ.[1]

وبهذا نستحضر آخر طقس من الطقوس التي يتميز بها المجتمع التواتي نجد الراوي يصف ذلك في قوله:

" في مساء ذلك اليوم بعيد العصر، قطعوا لكل منا جديرة نخل خضراء بعد نزع شوكها وسعفها، خلقوا لنا منها عصى كالعكاز تخطينا بها على الساقية، ثراه مرات معدودات، نفدم اليمنى ونأخر اليسرى، كل ذلك بمراقبة ولو بعيدة من عمتي نفوسة."[2]

فعادات الختان تختلف من منطقة إلى أخرى، فما ذكرناه سابقا يعد من عادات الختان لدى المجتمع التواتي.

- **طقوس الموت:**

حثنا الدين الإسلامي على أن المرأة المتوفى عنها زوجها تبقى ماكثة في بيتها فلا تخرج إلا للضرورة القصوى، كما تلتزم في لباسها بارتداء ملابس عادية ألوانها قاتمة، ليس فيها جمال، ولا فتنة، ولا تتزين بالحلي، والعطور والمساحيق كالكحل والحناء، وغيرها من مواد التجميل، حتى تنتهي عدتها لقوله ﷺ« المتوفى عنها زوجها لا تلبس المعصفر من الثياب، ولا الممشقة، ولا تختصب ولا تكتحل»[3]

ونقصد بالعدة مدة زمنية حددها الشرع تقدر بأربعة أشهر وعشرة أيام ونستدل على ذلك بقوله تعالى« والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشرا»[4]

فعلى الرغم من أن العدة سائدة في العديد من المجتمعات إلا أنها تختلف في مدتها وطريقة ممارستها، من مجتمع لآخر.

---

[1] وزارة الصحة : صحة الطفل الختان، 7مارس 2019 Https:// www. Moh.gov.sa

[2] الصديق حاج أحمد الزيواني: مصدر سابق، ص62.

[3] رواه الألباني في سنن النسائي عن أم سلمة، ص 35_37.

[4] سورة البقرة، الآية 234، رواية حفص، ص 38.

وبالرجوع إلى المجتمع الصحراوي، وبالضبط منطقة توات، نجد أن المرأة الصحراوية ملتزمة بما جاء في القرآن." فاحتجبت أمبريكة ببيتها ورابطت به، مدة أربعة أشهر، ولذلك كان سكان قصرنا يسمونها الرابطة."[1]

فالراوي هنا يجسد لنا صورة المرأة الملتزمة بعدتها الصائنة لزوجها بعد الوفاة، فبالرغم من مكوثها في البيت لمدة طويلة، إلا أنها تحظى من الحين لآخر بزيارات ومساعدات من قبل أهل منطقتها.

بعد انقضاء العدة اتفق بعض النسوة للذهاب إلى بيت الأرملة وذلك من أجل إقامة احتفالا لها يعبر عن يوم خروجها من العدة وبعدها خروجهم برفقتها إلى المكان المخصص المعروف عندهم بالرابطة للقيام ببعض الطقوس التي توحي بخروجها من تلك الأيام الحزينة التي مرت بها وبداية لأيام جديدة من حياتها.

وخلال قراءتنا للرواية استحضرنا قول الكاتب

" حتى جاءت عيشة أمباركة، والماشطة مولودة، ونساء كثيرات من قصبتنا، منهن في هذه المرة،(....) فأقمنا لها فرحا لخروجها من العدة، (...) كما تخلت في هذه الحفرة، عن كل ما كان يلازمنا في رباطها، أواني طينية وتمائم(....) بعد هذا تعود مع الظلمة الأولى من المغرب لبيتها، في غير الطريق التي خرجت فيه."[2]

وبهذا يكون الراوي قد رسم لنا في صورة دقيقة عادات المرأة الصحراوية أيام خروجها من العدة.

- **السحر:**

مارس الناس في كل أنحاء العالم السحر والشعوذة منذ فجر التاريخ إذ نجد بعض الشعوب والمجتمعات مازالوا يؤمنون بهذه الاعتقادات ويعدونها الأمثل في تحقيق أهدافهم فالسحر كما ذكر الجصاص "أن السحر كل أمر خفي سببه وتخيل على غير حقيقته يجري مجرى التمويه والخداع".[3]

ومنه فالسحر مجرد خدع وتمويهات وتخييل، يؤثر في القلوب والأبدان فيمرض ويقتل، ويفرق بين المرء وزوجه.

[1] الصديق حاج أحمد الزيواني: مصدر سابق، ص 105.

[2] – المصدر نفسه، ص107.

[3] أحكام القرآن لأبي بكر أحمد بن علي الرازي الجصاص، ط: 1415هـ دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ، ص51.

فقد حرم الإسلام التعامل بالسحر تحريما قاطعا لا جدال فيه واعتبره من كبائر الذنوب لما يخلفه من ضرر وإيذاء للنفس البشرية، لقوله تعالى:« واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت وما يعلمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء و زوجه».[1]

كما ورد في الحديث النبوي الشريف عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال:« اجتنبوا السبع الموبقات» قالو يا رسول الله وماهن قال: الشرك بالله، والسحر.[2]

فحسب ما ذكرناه في الآية الكريمة والحديث الشريف فالسحر من أعظم ما يعصي به الخالق عز وجل وقد جاء التحذير منه والتهديد والوعيد الشديد لفاعله.

وبالحديث عن السحر في مجتمعاتنا نجد أنه ظاهرة اجتماعية عرفتها جل المجتمعات الإنسانية حيث أنه لا يقتصر على المجتمعات البدائية.

فالسحر مجموعة ممارسات شعائرية يستخدمها الساحر للتغيير في الظروف والأحداث باستخدام رموز وطلاسم وطرق أخرى.

وقد كان حضور السحر والشعوذة في " رواية مملكة الزيوان" بارزا وذلك من خلال الطقوس التي كان يقوم بها الطالب أيقش، حيث ذهب زوجات عم الزيواني إلى الساحر أيقش من أجل عمل حجاب لأم الزيواني حتى تجهض حملها ويأخذون نصيبه من الإرث وهذا ما ذكره الكاتب في قوله:" ومن التبريرات التي قدمتها عمتي نفوسة لفساد حمل والدتي الأول والتاني، أن زوجات أعمامي لأبي ، قد سحرت أمي، وكتبنا لها الحجاب بخط الجدول، عند الطالب أيقش".[3]

---

[1]– سورة البقرة، الآية 102، رواية حفص، ص16.

[2]– صحيح البوخاري: ترقيم مُحَمَّد عبد الباقي، دار طوق النجاة، ط1: 1422هـ،

[3]– الصديق حاج أحمد الزيواني: مصدر سابق، ص19.

فقد كانوا في مجتمع التواتي يؤمنون بالسحر ويستخدمونه البديل في العلاج باستخدام مجموعة من الطلاسم التي يقوم بها الساحر.

ففي الرواية يصف لنا الزيواني ما حل بعمته نفوسة بمجيء قرار التورة الزراعية الذي يقتضي بمنح ممتلكاتهم من السباخ إلى أمبارك والد الدا علي.

وهذا ما أثر بشكل كبير على نفسيه وصحة عمته، ونستحضر قول الراوي للدلالة على ذلك:

" تدهورت الحالة النفسية والصحية لعمتي، مما جعل والدي يفكر في عرض قضيتها على الطالب أيقش، وقد كان فعله في طرد الجن بالقصر مجربا، فحملها عمي حمو إليه ووصف لها حجابا أحمرا، فيه جدول مزج ترابي تستعمله بخورا، وبعد أسبوع من استعمال وصفة أيقش، بدأت تسترد عقلها شيئا فشيئا".[1]

ففي مجتمعاتنا على الرغم من كون الفرد مثقف متعلم إلا أنه أحيانا يخضع لأمور الشرك الذي حرمها الله تعالى على عباده. مثل ما هو يحدث في وقتنا الحالي فبالرغم من التطور الحاصل بكل ما تقدمه وسائل التكنولوجيا وتوفير المؤسسات التعليمية وغير ذلك إلا أنهم لا زالوا، متمسكين بالعادات الخاطئة .

ومن الرواية فبالرغم من كون الزيواني إنسان متعلما ومثقفا، إلا أن عمته نفوسة أغوته بنجاح طقوس الطالب أيقش في جلب حب أميزار مما أنساه عمله وإيمانه. نستذكر قوله:" ولماذا لا نتوسل في قضيتك بالطالب أيقش؟ ..... فقبضت عيني قبضا خفيفا، والدهشة تلفني وقلت لها في استغراب، بعد أن وضعت ثقافتي الجامعية خلف ظهري: وهل تنفع جداول أيقش أميزار يا عمتي؟"[2]

ويقول أيضا:" فإن ذلك لم ينسيني حبي وشغفي وانتظاري بحرزي بمجيء أميزار للقصر، وإجراء طقوس أيقش على آثار مشيتها، علها تسقط صريعة بين أقدامي"[3]

[1] المصدرالسابق، ص 95.
[2] المصدر نفسه، ص118.
[3] المصدر نفسه، ص126

فالسحر تدخل فيه أنواع كثيرة في أشكالها وطرقها فهناك سحر المحبة، وسحر التفريق، وسحر المرض، سحر الموت. ومن خلال ما ذكرناه سابقا يتضح لنا أن السحر والشعوذة من المعتقدات التي كانت سائدة في المجتمع الصحراوي التواتي يلجؤون إليه عند الحاجة. كونه معتقد متأصل في ثقافتهم.

ب- زيارة الأولياء الصالحين

تعتبر زيارة الأضرحة من المعتقدات الشعبية المتوارثة جيلا بعد جيل، فهناك من يصدق بهذه الاعتقادات وهناك من لا يصدق، أو بتعبير آخر هناك من يتقبلها، ويرى بأن هؤلاء الأولياء الصالحين لهم قدرات عجائبية لذلك يجب إكرامهم، ويشكرهم، في حين هناك من يرفض هذه الاعتقادات، ويعتبرها شرك بالله لقوله تبارك وتعالى «والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم ولا ينبئك مثل خبير»[1]

ونعني بالضريح المكان الذي يقصده الزوار، وهو قبر أحد الصالحين وفضاء مقدس، وتخص هذه الأخيرة" تلك الفئة من الشخصيات الدينية التي تحظى بتكريم خاص من جانب الناس(مسلمين ومسيحيين)، ولكنها لا تنتمي مع ذلك إلى فئة الأنبياء، أو غيرها من الشخصيات الدينية المقدسة."[2]

ومنه فعبارة الأولياء الصالحين، تطلق على فئة من الشخصيات الدينية والتاريخية التي كان يشهد لها بالزهد، والصفاء، والعبادة دون تخصيصهم بذلك فئة الأنبياء.

وبالعودة إلى رواية مملكة الزيوان نجد بأن للأضرحة، مكانة بالغة لدى المجتمع الصحراوي بمنطقة توات فقد ارتبطت بالشرفاء الذين وفدوا إلى المنطقة، وقد كان الضريح سيدي شاي الله، هو الضريح الأمثل الذي يذهبون إليه باستمرار ويكنون له مشاعر التقدير والإجلال. وفي هذا يستذكر لنا الزيواني من الرواية:

---

[1]- سورة فاطر الأية 14، حفص، ص 436.

[2]- محمد الجوهري: الدراسة العلمية للمعتقدات الشعبية: دار الكتاب للتوزيع، القاهرة، ط1: 1978، ص389.

"فخرجت في هذه الخرجة الأولى محمولا لزيارة ولي قصرنا سيدي شاي الله فوزعوا على الصبيان شظايا كسرة من قمح بوركبة أعدت لهذا الغرض خصيصا."[1]

تختلف الأهداف والأغراض من زيارة الأضرحة، باختلاف رغبات الأشخاص فهناك من يذهب بغرض تحقيق أمنية أو النجاح في الدراسة، كما هناك من يذهب من أجل الزواج، وطلب الإنجاب.

وفي الرواية يستحضر لنا الزيواني ذهاب أمه خلال فترة مرضه إلى زيارة الولي الصالح سيدي شاي الله بغرض شفاءه، نتيجة ما أصابه من وجع في الأسنان الأمامية، وما تولد عنها من قلة الرضاعة والإسهال.

يقول:" كان أول ما أتاني من أطر أوجاع نبات الأسنان الأمامية، أن أتتني الحمى والإسهال، وقلة الرضاعة، ما قلل جسدي من حمايته للأمراض.... فلا يهدأ لأمي بال إلا بعد أن يتخطاني مرض نبات السن، فتخرج كسرة لولينا سيدي شاي الله، كانت قد تصدقت بها عليه أن تخطاني المرض، وأبقاني لميراثي"[2]

وهناك في بعض المناطق يأخذون الطفل قبل الختان، لزيارة ضريح الولي الصالح، ويقومون ببعض الطقوس للطفل، وذلك من أجل تعجيل الشفاء بعد الختان، وهذا ما نجده عند المجتمع التواتي.

" المهم مشى الموكب بنا حتى وصلنا عتبة ضريح سيدي شاي الله المجير بالجير الأبيض الناصع، فأجلسونا عند عتبة الخارجية، على دكانه ملساء رفقة صديقي ومسارك خوفي وروعي الدا علي، فوضعوا لنا الحناء في أيدينا وأرجلنا، من طرف أكبر الشريفات بالقصر."[3]

ومن العادات الحاضرة أيضا لدى أهل المنطقة لزيارة الولي الصالح في فترة حصاد القمح والتي تقدمت أضخم الزيارات حضورا حيث تنال شهرة واسعة في أدرار وبالضبط في منطقة توات، يستذكرنا الراوي في هذا بقوله:

[1]- الصديق حاج أحمد الزيواني: مصدر سابق، ص36.

[2]- المصدر نفسه ، ص43.

[3]- المصدر نفسه ، ص58.

" صادف نزول والدي ببينا، لحضور زيارة الولي الصالح الشريف مولاي الرقاني برقان، والتي كان يحرص كل عام في عودته من تجارته في بلاد السودان لحضورها تراخيا أو استعجالا..... وهي أول الزيارات وأضخمها حضورا، وأشهرها ذكرا بناحيتنا..... ونظرا لكون أهل توتنا، لا يعتمدون إلا على قمحهم وتمرهم في مناسباتهم، فقد أخرو بداية موسم الزيارات عندهم حتى الثامن عشر من إبريل الفلاحي، بحكم أن القمح في هذا الفصل، يكون قد بلغ آخر حصاده.[1]

وما يميز عادات أهل المنطقة عند زيارتهم للولي الصالح وبعد الدعاء للمحتفى به، يقومون بالاحتفال والفرجة على رقصة البارود ويقصد بها رقصة شعبية دائرية بالبنادق.

ومن الرواية نذكر قوله:" فيقرأ السلكة أولا مع القارئين، على روح الولي المحتفى به، بعدها يتفرج على رقصة البارود أو إنشاد الحضرة، أو قرقبة الحديد في رقصة العبيد."[2]

لم تقتصر زيارة الأم للولي الصالح على المرض فقط بل أيضا تستعين به في ظروف أخرى كطلب التوفيق لولدها في الدراسة.

ونجد ذلك في موضع من الرواية يقول:

"فأما أمي فقد تصدقت على ولي قصرنا سيدي شاي الله، إن نجحت أنا و عليليل ولم ينجح الداعي، فسوف ترصد له زيارة معلومة له بضريحه، وتصليحة معتبرة لحفيدة سيدي مول النوبة."[3]

فهنا الأم بدت قلقة لأمر ولدها فذهبت للولي الصالح طلبت منه تحقيق النجاح لولدها وعندها وعدته إن نجح رفقة عليليل وفي المقابل رسوب الدا علي أن تذهب لحفيده مول النوبة شيء ثمين شاكرت له على ما قدمه لها.

إن الغاية من زيارة الأضرحة تختلف حسب كل أمنية وطلب الشخص يمكن تقسيمها إلى أربعة أهداف:

[1] المصدر السابق، ص57.
[2] المصدر نفسه، ص57.
[3] المصدر نفسه، ص109.

_ أهداف صحية:

تتمثل عادة في الشفاء من الأمراض المختلفة، وتحصيل الصحة والسلامة الجسدية وقهر الكسر والخمول.

_ أهداف نفسية:

يأمل صاحبها في الحصول على الراحة والهدوء الداخلي، واتقاء الشرور، وإبعاد العين والحسد، ونيل الخير والبركة، واستجابة الدعاء.

_ أهداف اجتماعية:

تتعدد بين طلب العون والقوة، طلب الحماية والأمان، تأمين حاجة الغرباء وعابري السبيل، وإبداء التكافل الاجتماعي.

_ أهداف دينية:

تتمثل في تحقيق الاستقرار الروحي والسعادة في الدارين الدنيا والآخرة، والتقرب إلى الله عن طريق وليه الصالح.[1]

إذن فزيارة الأضرحة تعد من العادات المتوارثة في الجزائر لا يعرف بالضبط تاريخ ظهورها في العالم الإسلامي عامة وفي الجزائر بالأخص.

ت- كرم الضيافة و الطعام:

إن الإنسان البدوي اجتماعي بالفطرة يحب التجمع مع الأخرين في مختلف الظروف والمناسبات، فنجد عندهم إكرام الضيف وحسن استقباله تقليد عربي أصيل يعكسه المجتمع الصحراوي في حياته اليومية، وقد انتقلت هذه العادات من الأجداد إلى الأحفاد فرغم قساوة حياتهم وبساطتها إلا أنهم ظلوا متمسكين بها.

ومن عادات البدو المهمة نجد الولائم، وتعرف الوليمة " باجتماع مجموعة من الأشخاص الذين يعرفون بعضهم جميعا أو يعرفون أحد الأشخاص في هذه الدعوة لتناول الطعام غالبا بغرض الاحتفال أو لهدف آخر."[1]

[1] نفيسة دويدة، المعتقدات والطقوس الخاصة بالأضرحة في الجزائر خلال الفترة العثمانية، المجلة الجزائرية في الأنتروبولوجيا والعلوم الإجتماعية، المجلد 11، العدد 43، سنة 2015.

وقد كان حضور الولائم في الرواية بارزا وذلك لأسباب مختلفة كيوم مولد الزيواني وختانه وكذلك بمناسبات النجاح في الدراسة وغير ذلك.

وبالرجوع إلى الرواية نجد" لمرابط" والد " الزيوان" قد أقام بمناسبة مولد ابنه وليمة غداء بذبح أضحية واستدعى بذلك سكان منطقته، ويقول:" فذبح الضحية..... فأقام والدي وليمة غذائية بمصرتينا البرانية"[2]

ويقول أيضا:" دعت أمي لغداء وليمتها، خالتي لالة باتي، التي كانت معنا لتعاونها خلال شهر النفاس."[3]

كما أقيمت وليمة أخرى بمناسبة يوم الحصاد بزيارة الولي الصالح الرقاني من طرف أهل المنطقة وفي هذا نجد الكاتب يقول:" لينهي ذلك الحضور بحضور تجبير الولي الصالح بالجير، وفي الأخير يعتمر أحد البيوت مع الضيوف لأكل الوليمة."[4]

فقد كانوا سكان المجتمع التواتي يتسمون بالكرم وحسن الضيافة، وذلك مما كانوا يقومون به ولائم جماعية تزيد من الألفة والأخوة بين الأفراد، فدعوة الناس للوليمة عندهم لا تخص بيتا دون آخر، وهنا نجد الراوي رسم لنا ذلك من خلال المناسبة التي أقيمت له عند حفظه للقرآن الكريم ويقول:

" فتقام لنا مناسبة أخرى يطلق عليها الحفوض، يقال لنا بعدها أننا أضحينا من الحفاظ، يدعى لمكرمتها الناس حتى من القصور القريبة والمجاورة."[5]

أي أن المجتمع الصحراوي يعرف بكثرة ولائمه على خلاف بعض المناطق الأخرى التي تنعدم فيها مثل هذه العادات. الترحيب من العادات التي إعتاد عليها الصحراويين منذ القديم، ويكمن الترحيب في حسن الاستقبال وتقديم الطعام والراحة والفراش للضيف.

---

[1] الوليمة: 10 ماي 2023، 14:30 /Bog: Fjkhahr.com

[2] الصديق حاج أحمد الزيواني: مصدر سابق، ص26.

[3] المصدر نفسه، ص30.

[4] المصدر نفسه، ص 56.

[5] المصدر نفسه، ص68.

يحظى الضيف باستقبال حسن من قبل أهل البيت، وهذه من عادات المجتمع الصحراوي التي جسدها الكاتب في الرواية بقوله: «حتى سمعنا طبطبة خفيفة بباب مصربتنا الخشبي، فعلمنا أنه المنتظر....، قام له والدي مسلما ومرحبا»[1]

إن الثقافة الجزائرية عامة والصحراوية خاصة ثرية وغنية ومتنوعة في عاداتها وتقاليدها المرتبطة بالأكل، فكل منطقة لها أكلاتها التقليدية التي تميزها، فهنا نخصص الأكلات التقليدية الصحراوية.

يعد "الكسكسي" من الأطباق التقليدية الأكثر استعمالا في أغلب المناطق الجزائرية وحتى الصحراوية، حيث يصنف الطبق المفضل لديهم، وفي الرواية نجد الكاتب يصف لنا الطريقة التي يقدم بها طبق الكسكس عندهم.

يقول:" تحلق الحضور في شكل حلقات دائرية، عدد الحلقة الواحدة كما جرى العرف عندنا، أن لا يتعدى العشرة من الرجال، وجيء بالقصعة الخشبية المغطاة بالمكب كانت تلك القصاع المملوءة بالكسكس الممرق، قد وضع عليها عطاري من اللحم مربوط بسعفة خضراء مطهوة معه."[2]

كما نجد في الرواية حضور طبق آخر من الأطباق التقليدية الذي يعرف "بالمردود"، يكون شبيه بالكسكس وقد كان من أفضل الأطعمة لدى الزيواني نجده يقول:" وبالرغم من أن المردود كان من أشهى الأطعمة عندي وأفضلها على الإطلاق."[3] يقول أيضا :"قدمت لي أمي وللدا علي قدحا طينيا مملوءا بالمردود."[4] أي أن المردود يعد من أفضل الأكلات التقليدية لدى أهل منطقة توات الصحراوية.

[1] المصدر السابق، ص 75.

[2] المصدر نفسه، ص 29.

[3] المصدر نفسه، ص 60.

[4] المصدر نفسه، ص 60.

بالإضافة إلى ذلك نجده يستحضر لنا نوع آخر من أكلاتهم "خبز أنور" يعد من أشهى الأكلات لديهم لقوله:" من أشهى الأطعمة عندي وأفضلها على الإطلاق في وجباتنا التواتية البسيطة كخبز أنور."[1]

كما يعد " الشاي" من المشروبات التي لها مكانة خاصة لدى الصحراويين حيث يعتبر رمزا للترحاب وحسن الضيافة ويتميز بطريقة خاصة في التحضير والتقديم وبالعودة إلى الرواية نجد في قول الكاتب:« وبعد الفراغ من الأكل بالمصرية البرانية، وشرب الشاي بها، الذي كان يقيم طقوسه أمبارك ولد بوجمعة بكل مهارة واقتدار.»[2]

ومن التقاليد التي منحت التراث الجزائري ميزة مختلفة نذكر" الزربية الشعبية" وهي عبارة عن سجاد مصنوع من الصوف أو الوبر، وصناعتها تتطلب شد خيوطها بأحكام ودقة كبيرة حتى يحصل صانعها على رموز وأشكال هندسية تقليدية مميزة."[3]

فالزربية تعتبر من التقاليد الجزائرية المتوارثة عبر الأجيال، ولازالت تحافظ عليها العائلات الجزائرية إلى يومنا هذا، حيث نجد في كل بيت هذا النوع من الأفرشة، إذ تختلف أنواعها فمنها النمامشة واللحاف والحنبل وغيرها، وبعد استطلاعنا على الرواية نجد أن عائلة المرابط تهتم بهذا النوع من الأفرشة وتفضل منها " الحنبل" حيث كان يفرش للضيوف للدلالة على حسن الاستقبال.

ونجد الكاتب يجسد ذلك في قوله:" فرشت لها أمي فراش حنبل بورابح، وقد كان هذا الفراش مدسوسا، لا يخرج ولا يفرش إلا للضيوف النادرين والمحظوظين."[4]

أي أن فراش حنبل كان يحظى باهتمام عائلة لمرابط ولا يفرش إلا للضيوف احتراما وتكبيرا لهم.

---

[1] المصدر السابق، ص 60.

[2] المصدر نفسه ،ص 30.

[3] محمود بن حمود، عبد القادر شاكة: حقوق الملكية الصناعية للمنتوجات التقليدية والحرفية ، دراسة منتوج الزربيةفي الجزائر، مجلة الإستراتيجية والتنمية، المجلد 12، العدد 1، جانفي 2022، ص

[4] المصدر نفسه،ص133.

كما يوجد نوع آخر من الأفرشة التي يستخدمونها لتفرشة البيوت أو لأغراض أخرى "كالدنفاسة" ونعني بها فراش مبطن تقليدي يصنع من الثياب البالية يقول الكاتب:"كانت في جهزته لي مدكنت في رحمها.... مع أغراض أخرى، كالدنفاسة."[1]

ث- اللباس والأواني و المسكن الطيني:

- **اللباس و الأواني**

يحظى اللباس بمكانة هامة ضمن عادات وتقاليد المجتمع الصحراوي، كما يشكل جزءا أساسيا يعبر عن هويتهم.

نجد أن المجتمع الصحراوي لازال محافظ على لباسه التقليدي كغيره من العادات الأخرى التي كانت عند بعض المناطق، ونخص بالذكر منطقة توات، التي كان لباسها مميزا عن باقي المناطق الأخرى.

وبالعودة إلى الرواية نجد الكاتب استحضر لنا بعض أنواع الألبسة التي خص بها كل من الرجل والمرأة عند أهل توات.

نجد " الشاش" أو ما يعرف بالعمامة أو الحواق غطاء يوضع على رأس الرجل الصحراوي فيغطيه وهذا ما ذكره" الزيواني" في قوله:" وأداروا على رأسنا قطعة شاش بيضاء."[2]

كما ذكر لنا الزيواني" الكنبوش"[3] فهو غطاء رأس تقليدي، يستعمل لتغطية رأس الصبي زمن البرد.

---

[1] الصديق حاج أحمد الزيواني ،مصدر سابق، ص 22.

[2] المصدر نفسه،ص 60.

[3] المصدر نفسه، ص 23.

- سغلس: قناع ملون ، ترتديه نساء الطوارق ، و الشنفطيات .
- الدميشي: كتان قديم كان أغلب لباس النساء خلال الستنيات و السبعنيات.
- البياتة: لفظ تواتي محلي يعني قطعة مستطيلة من كتان أزرق داكن.

بالإضافة إلى ذلك فقد ذكر لنا الراوي بعض الألبسة التي تتميز بها المرأة التواتية منها عباءة أميسات الحوت فهي لباس نسوي، كانت نساء توات يلبسنه خلال الستينيات والسبعينيات يقول" وبعد أن جففت نفسها بقناع نفاسها، لبست عباءة أميسات الحوت"[1]

كما نجد الخنت فهو غطاء للرأس كانت تستعمله المرأة التواتية. يروى لنا الكاتب من قوله:" كان شعرها المخضب بالحناء، يرقد تحت خنتها"[2]

و أيضا نجده يذكر لنا ألبسة أخرى ك" سغلس "[3] و"الدمشي"[4] وكذلك "البياته"[5]

ومنه فإن المجتمع التواتي كان ولا زال إلى يومنا هذا محافظا على لباسه التقليدي الذي يميزه.

بالإضافة إلى ما تميز به المجتمع الصحراوي من عادات الأكل فقد اختلف أيضا فيما كان يستخدمه من أواني لوضع الأكل.

يستحضر لنا الزيواني في ثنايا روايته بعض أواني الطعام التي كانوا يستخدمونها في منطقة بني توات، ففي الأغلب نجدهم يستخدمون الأواني الطينية والفخارية.

نجد في الرواية الكاتب يوضح لنا بعض الأنواع من الأواني وفيما يتم استعمال كل نوع منها يقول:" فأعطته أمي فخدا من دجاجتها، التي كانت في أغبيج طيني"[6] يقصد بأغبيج قدح طيني صغير.

كما يروي في موضع آخر يقول:" وجيء بالقصعة الخشبية المغطاة بالمكب."[7] ونعني بالمكب هو ذلك الغطاء الهرمي المصنوع من الزيوان المنسوج بالسعف اليابس.

---

[1] – المصدر السابق، ص33.
[2] – المصدر نفسه ، ص18.
[3] – المصدر نفسه، ص24، ص81.
[4] – المصدر نفسه، ص33.
[5] – المصدر نفسه، ص 18.
[6] – المصدر نفسه، ،ص31.
[7] – المصدر نفسه، ص30.

أيضا يعرفنا بنوع آخر من الأواني في قوله:" الذي كان يحمل تاغربيتا من اللوح مملوءة بالحليب."[1] والمقصود هنا بالتاغربيت قدح خشبي كبير، يكون غالبا دائريا أو بيضويا.

زيادة عن ذلك نجده قد ذكر بعض الأواني التي كانت تستعمل لغرض الطهي والأكل في مجتمعه ك "البطة" و"ودعية" و" الغرغار.

فطبيعة الأواني التي يستعملونها في الصحراء تختلف عن المناطق الأخرى فهم يستخدمون الأواني المصنوعة من الطين والفخار وموادأخرى كالنخيل. يبدو لنا من خلال ماذكرناه من عادات وتفاليد أن الصحراويون يتميزون بلباسهم وأوانيهم التقليدية.

- **القصور الطينية:**

يتميز الطابع العمراني لدى منطقة توات بالبساطة، حيث قامو بإنشاء القصور الطينية وإتخدو منها بيوتا تأويهم، فعمارة الطين عندهم تحمل قيما ومفاهيم وروحا تجسد بساطة العيش في مجتمعهم.

فالقصور الطينية تمثل الهوية والإنتماء لدى مملكة الزيوان، إذ تعد أهم ما يميز المجتمع الصحراوي عن غيره من المجتمعات.

ففي الرواية نجد الزيواني يصف لنا القصر ويعد المكونات التي بصنع منها، هذا ما يميز القصر في منطقة توات. يقول :" هي أول مرة أتعدى فيها عتبة بيتنا، والذي أتصوره من الداخل، بيتا سقيفا مستطيلا، طينيا سقفت سقيفا بخشب جذع النخل، الذي تتخلله الكرانيف المرصوفة والمتخالفة بين تلك الجذوع النخلية، بابه خشبي، ضع جذع النخل المملسة بإبراء القادوم."[2]

[1] – المصدر السابق، ص66.

[2] – المصدر نفسه،ص34.

فقد كانت القصور الطينية في بني توات تبنى من الطين والخشب الذان يستخدمان كمواد أولية في البناء من طرف بناء متمرس.بعد تصفحنا للرواية نجد الكاتب يعرفنا بمجموعة من الأسماء التي كانت تطلق على قصورهم" قصور تمنطيط"، و " تليلان" ، و"ملوكة"، "وزاوية كنته"، و"أنزجمير" و"أقبلي" و"أولاد سعيد"، و"المطارفة"[1]

مما ذكرناه سابقا يتضح لنا أن الطابع العمراني في المجتمع الصحراوي يختلف وينفرد عن باقي المجتمعات في الشمال مثلا فقد كان الطين والماء أساس في عملية البناء.

ج- اللهجة التواتية و الأغنية الشعبية و المثال

- **اللهجة التواتية:**

تعتبر اللغة أهم وسائل الاتصال والاحتكاك بين أفراد المجتمع في جميع ميادين الحياة، حيث تختلف من مجتمع لآخر فكل مجتمع له لهجته الخاصة التي تميزه عن غيره، إذ تشكل جزءا من تراث المنطقة وثقافتها.

فاللهجة التواتية ظهرت في جنوب الجزائر وبالضبط في إقليم توات ولاية أدرار حاليا، وتميزت هذه اللهجة بكلماتها القريبة إلى الفصحى أكثر من العامية.

ففي رواية مملكة الزيوان تمثل اللهجة التواتية جزء من تراث المنطقة فهي تختلف عن لهجات المجتمعات الأخرى.

وبعد اطلاعنا على الرواية استخرجنا بعض المفردات التواتية التي استخدمها الكاتب لنذكر منها:

أيقش: في محلية لهجة التوات تطلق لفظة أيقش للدلالة على الطالب المشعوذ وأصلها أيقغ فقلبت الغين شينا للتخفيف وهي جملة الجمل الأبجد الصغير في حمارة الحساب.[2]

الفقارات: مفردها فقارة وهي آبار متسلسلة عميقة وبعيدة، تقع عادة شرق قصور خط جريد توات.[3]

القواريط: وحدة من وحدات قياس ماء الفقاقير[4].

---

[1]-المصدر السابق، ص7.

[2]- المصدر نفسه،ص5.

[3]- المصدر نفسه، ص6.

[4]- المصدر نفسه، ص6.

التافزة: أرض صلبة حرشاء منها ما هو أصفر فاتح ومنها ما هو أحمر غير داكن.[1]

الدليق: توب أبيض صوفي مصبوغ بالحناء.[2]

فمن خلال ما ذكرناه من مفردات من اللهجة التواتية يتبين لنا أنها غير مفهومة وصعبة النطق

- **الأغنية الشعبية:**

الأغنية الشعبية ترتبط ارتباطا وثيقا بالاحتفالات والمناسبات الاجتماعية المختلفة التي يمر بها الفرد في حياته، وهي ركن من أركان ثقافتنا وصفحة تعكس جانبا من عاداتنا وتقاليدنا، حافظتا لتراثنا وتاريخنا وأمجاد بطولاتنا.

حيث نجد أن الأغنية الشعبية تكون ذات طبيعة غنائية تعالج موضوعا يحمل قدرا كبيرا من الجدية، ففي مجتمعنا الجزائري كانت حاضرة بقوة في مختلف المناسبات والظروف، فهي وسيلة للتعبير عن حاجات الإنسان وأماله وواقعه في أي وسط اجتماعي وبالتالي فهي تجسد التراث المشترك للمجتمع.

فقد كان الصحراويين من بين المجتمعات الذين اتخذوا الأغنية الشعبية للتعبير عما يجول في قلب المجتمع من أحداث.

كما وردت الأغنية الشعبية في رواية " مملكة الزيوان" للصديق تاج أحمد" بعض من الأغاني الشعبية التي كان يتداولها سكان منطقة توات في مختلف مناسباتهم.

نجد أغنية الحب والعشق التي غناها الشلالي في حب مروشة الساحرة التي عشقها وفتن بها وقد استحضرها الراوي في قوله" زرق الريش إيلا أغديت للاشقين سال أعلى مروشة أجبالها دارقين."[3]

فقد كان هذا المقطع أكثر تداولا عند أهل مملكتهم الزيوانية، وذلك لما كان له من معنى قوي عندهم.

[1] – المصدر السابق، ص8.

[2] – المصدر نفسه، ص23.

[3] – المصدر نفسه، ص 8.

وأيضا يروي الزيواني في مقطع آخر أغنية شعبية مشهورة في الجنوب الجزائري وخاصة في منطقة توات أدرار. يقول:

" الله الله الله

ياسيدي بوتدارة

يامن جاهك عند الله

الرجال الصبارة

جيت أمهود لتوات

ألقيت الزعفة ما أبقات

أداها بوريشات

أو لحت العار أعلى مولانا."[1]

كانت هذه الأغنية تستخدمها الأمهات لتنويم الأطفال الصغار، لما لها من أثر كبير في جلب النوم لهم فقد غنتها الأم للزيواني حتى ينام.

كما وردت كذلك الأغنية الشعبية في موقع آخر من الرواية على لسان الزيواني موضحا بذلك الأغاني التي يرددونها بمناسبة يوم الختان.

يقول:

الله مع سيد لسياد.

الله مع ولد سيد الشيوخ.

الله مع ولد سيد القبائل.

الله مع قبيلة ولاد لجواد.

الله مع اللي ما أيقبحو.

الله مع ما أيسفهو.

أومن هنا حتى لواد تساليت.

أي أن الأغنية الشعبية شغلت حيزا من التقاليد التي كانت بارزة لدى المجتمع التواتي الصحراوي.

[1] – المصدر السابق، ص 24.

- **الأمثال الشعبية:**

يعرف المثل على أنه القول الشعبي الجاري على ألسنة الشعب الذي يتميز بطابع تعليمي وشكل أدبي يكتمل ويسمو على أشكال التعبير المألوف، أي أنه الكلام الذي ينتشر بين الناس ويتداولونه يقول الله عز وجل:« ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيرا.»[1]

"فدور المثل مهم وأساسي في حياة الفرد، والفرد يعيش في جماعة متجانسة من حيث لغتها وعاداتها وتقاليدها في التعامل والتفاعل واللجوء إلى إستعمال المثل وتوظيفه يختزل تجربة قد يطول شرحها وإيصالها إلى المحيطين بهذا الفرد الفعال في المجتمع."[2]

ففي الرواية نجد الأمثال الشعبية التي وظفها الكاتب تعطينا صورة عن الثقافة المجتمع التواتي فقد كان حضور المثل بازرا بشكل كبير في النص السردي الروائي الجزائري. ومن الأمثال الشعبية التي وردت على لسان الروائي في روايته ما يلي:

" اللسان ما فيه أعظم يا ولد بويا"[3] يطلق على القول الذي لايتوافق مع مافي القلب والمثل يتوافق مع ماجاء في الرواية، وينطبطبق على العم الأكبر للزيواني عند دخوله ببتهنئة المصطنعة لولادة الذكر لأخيه، يقول الراوي"فبادر أكبر الأعمام عند دخولهم لتهنئة مصطنعة لوالدي."[4]

"البنت عندنا كي الرقبة، موكولة أو مذمومة"[5] بمعنى أن لحم رقبة الشات يأكل لكنه مذموم، إذ قورن بلحم الأضلاع أو الكتف أو الفخذ، ويكشف هذا المثل عن مكانة المرأة المتدينة في المجتمع التواتي قديما التي حرمت من التعليم

[1] سورة الفرقان الأية 33، رواية حفص، ص363.
[2] الصديق حاج أحمد الزيواني: مصدر سابق، ص 28.
[3] المصدر نفسه، ص 28.
[4] المصدر نفسه ، ص 28
[5] المصدر نفسه ، ص 43.

والميراث لأنها طوبة والطوبة عندهم لا ترث. ويتوافق في النص الروائي على " مريمو" أخت " الزيواني" التي حرمت من كل شيء.

" الي ماجابو المكتوب، أيجيبوه لكتوب"[1] أي أن الشيء الذي لم يكتب الله لعباده يلجأون إلى تحقيقه بواسطة السحر والشعودة وينطبق هذا في الرواية على عمة الزيواني التي أوصت ابن أخيها بجداول الطالب أيقش وتعاويد لجلب محبة أميزار له.

" أدقيقنا في أرقعتنا يا الغيواني"[2] وينطبق هذا المثل خاصة لزواج، الأقارب ويبطبق هذا المثل في الرواية عندما طلب والد الزيواني من الغيواني إبنته أميزار لإبنه.

إذن يستعمل المثل في توصيل المطلوب إلى السامع وإبراز المعنى في صورة رائعة موجزة لها وقعها في النفس، إذ يتميز بالقصيدة والثياب وتميزها بسرعة الإنتشار والديوع بين الناس.

نستشف مما ذكرنا سابقا من العادات والتقاليد التي حضرت في رواية "مملكة الزيوان" أن الكاتب كان محافظا متمسكا بموروث مجتمعه الصحراوي، كما يتبين لنا من ذلك أن الجنوب الجزائري يزخر بموروث ثقافي محظ يعبر عن أصالتها وهويتها.

II- دراسة الإنسان و تجلي الأسطورة في الرواية.

1- جدلية الرجل والمرأة في الرواية.

الإنسان هو محور النص السردي الروائي وهو محرك الأحداث والعنصر الفاعل في كل التطورات التي تحدث في المجتمع، ونخصص ثنائية الرجل والمرأة و كيفية حضور كل واحد منها في رواية مملكة الزيوان هل صور لنا الزيواني الرجل

[1] المصدر السابق، ص 118.

[2] المصدر نفسه، ص 131.

الصحراوي ذلك الرجل الشرقي المتعصب أم أعطاه صورة الرجل المنفتح؟ و كيف استحضر لنا المرأة؟ هل كانت تلك المرأة الخاضعة لسلطة الرجل أم متحررة؟

يستحضر لنا الزيواني في روايته ذلك الرجل المتسلط الذي يجعل المرأة تبقى دائما في ظله وتابعة له.

" الرجل هو ظل الإله، الملك هو مرآة الله، هناك في الفوق توجد: سلطة، قوة، إله.

الإله يعني العلة والسبب لكل شيء.

نستبعد بذلك:

أولا: أن تكون السلطة أنثوية.

ثانيا: أن يكون ملكوت السلطة ملكوت أنثويا.[1]

ففي الرواية قدم الزيواني صورة الرجل الأب والعم والابن، فقد ذكر لنا ذلك الرجل المحافظ المتمسك الرافض لكل ما هو جديد ودخيل على ثقافة أباءهم وأجدادهم حيث كانوا يرفضون التحاق بناتهم بالمدارس رفض قاطعا هنا يقول:" بينما ظل أعمامي الكبار ومن شاكل شاكلتهم من المتغنيين المتمسكين بقنادلهم"[2]

ويقول أيضا:" نظر لما شاع في اعتقادهم، من أن المدرسة أمر حادث، مجلوب من عوائد الكفار ودينهم، ولم يكن لآبائهم وأجدادهم به سابق صلة تذكر، أو عادة محكمة تعرف."[3]

ومنه نجد الزيواني قد أعطى صورة ذلك الرجل الشرقي المتشدد المتمسك.

فالراوي نقل إلينا صورة الرجل الأب" لمرابط" وكل ما يكابده من عناء وتعب ومشقة من أجل توفير لقمة العيش خاصة في المناخ الصحراوي القاسي، فقد كان يسافر للسودان، يقول:" ونظرا لكون والدي كان غائب ببلاد

[1]- مهدي النجار: الأنثى _ الجنس في الإيديولوجيا العربية، العربية، دراسات عربية، دار الطليعة، بيروت، ط3، جانفي 1989م، ص64.

[2]- الصديق حاج أحمد الزيوان: مصدر سابق، ص90.

[3]- المصدر نفسه، ص73.

السودان، خلال خريف هذا العام، فقد كلف صديقه جارنا اللندوشي سيد الحاج لعوج، للقيام بتسجيلي في سجلات المدرسة مع ابنه عليليل."[1]

ويقول أيضا:" أما أبي فلم يرى لمرضي أثر يذكر، فقد كان منشغلا بتجارته وقوافله بين ناحيتنا وبلاد الطوارق، وإن لم ير للمرض أثر يذكر بالرؤية البشرية."[2]

فبروز والد الزيواني كان يبين مسؤوليته ودوره داخل الأسرة فهو الراعي والمكلف بتولي السلطة عند أهل بيته.

بالإضافة إلى حضور أعمام المرابط الذين كانوا يتسمون بالطمع والخبث وحب التملك.

يتجلى في قوله:" لقد قطع علينا هذا المولود طريقنا لتلك... يا أخي"[3]

فهنا يعبر الراوي عن الأنانية التي كانوا يتصفون بها الأعمام فقد أرادوا أخد الأراضي والسباخ دون منح والده شيء من الإرث فهنا تبرز الأنانية وحب السيطرة على الغير .

وفي موضع أخر يستذكرنا الزيواني يوم مولده وما حظي به من ترحيب وفرح من قبل عائلته، فقد جسدنا لنا صور الولد المحظوظ بإعتباره الذكر الأول في الأسرة . فالذكر نعمة لا يحظى بها إلا من تتبسم له الحياة وتفتح له أبواب الإرث والمال.

ونجده يقول:" كنت أعرف أن أمي يصيبها الحبور والفرح، وتنتشي ببكائي وقت ولادتي، لأن ذلك سوف يبقى تركة أبي من البساتين والسباخ وقواريط ماء الفقاقير في عتبته."[4]

فالراوي أعطى الذكر قيمة ورفع من شأنه على خلاف البنت.

نجد ذلك في قوله:" لأجل هذه السباخ المحبسة يا ولد سيدي، قلل من شأن أختك مريمو، لأنها بنت لا ترث، ورفع من شأنك، لأنك ترث."[1]

---

[1] الصديق حاج أحمد الزيوان، المصدر السابق، ص74.

[2] المصدر نفسه، ص 43.

[3] المصدر نفسه، ص30.

[4] المصدر نفسه، ص 16.

ومنه نجد أن المجتمع التواتي لا زال تسيطر عليه رواسب الماضي.

تعتبر المرأة عنصرا فعالا في المجتمع، ومما لاشك فيه أن أدوارها عديدة به. فقد حظيت باهتمام الأدباء في مختلف الأجناس الأدبية، وبرزت أكثر بأنوثتها وجمالها الخالص.

ويعد "الصديق حاج أحمد الزيواني" من بين الأدباء الذين تحدثوا عن المرأة حيث نجده في روايته "مملكة الزيوان" يستحضر لنا المرأة الصحراوية التي لم تنطر أنوثتها أمام قساوة مناخ الصحراء، إنما تعايشت مع البيئة الصحراوية ، وكانت تمثل الصحراء في جمالها وغموضها وجاذبيتها، فهي تحمل روحها وسرها وسحرها.

نجد الكاتب في الرواية يصف جمال المرأة التواتية في قوله: "امرأة ليست بالطويلة، لكنها في الوقت ذاته ليست بالقصيرة، بمعنى ذلك القصر المذموم في قامة النساء، غير أن إشراقة وجهها، وذكائها الوقاد، الذي يدركه الفطن من عينيها الوقادتين، ينضاف إلى هذا حضور الأنثى فيها بكثافة، ويخلط كل هذا عندها بتابل الذائقة الجميلة التي وهبت لها باقتدار تام، في تغير ألوان إبرازها، وعباءتها وخنتها."[2]

يتضح من خلال هذه الفقرة الوصف الذي قدمه الزيواني للمرأة وما تحمله من أنوثة تكمن في ذكائها وجمالها ولباسها المتميز.

جاء حديته أيضا عن طريقة تزينها بذكره تسريحتها للشعر وما وضعته من كحل وسواك بالإضافة إلى بعض الحلي الذي يكمل زينتها.

وفي هذا يقول:" وبدأت تستل شعرها، الشعرة تلوى الأخرى بشوكة يابسة .... بعدها بدا شعر رأس أمي كعش نخل، عندها بدأت مولودة بذهن شعر أمي بالحناء والشحم، ودهن نسائي يطلق النسوة عليه دهن البريانتي، ثم بدأت تمشط شعرها بتراب محروق..... قد سجت لها في مقدمة رأسها أقوفة، ونسجت على جانب رأسها سبولة بوساق، ومن الناحية الخلفية لرأسها نسجت لها القطاية،..... وضعت أمي خنتها الجديد على رأسها، حيث كانت

[1] المصدر السابق، ص69.

[2] المصدر نفسه ، ص49.

نهاية بوساق تظهر من جانبه كعراجين تمر، بعد هذا أخرجت أمي شظية مرآة مكسرة سبه مطموسة من تداريتها.... واكتحلت في عينها بذلك المردود .....ثم وضعت قطعة من المسواك بدأت تلوكها في فمها..... على شفتيها مرة للشفة العليا ومرة للسفلى، حتى بدأت شفتاها تحمران..... بعدها أخدت أمي قارورة لبان وهو نوع من العطر..... كانت تنفث منها رشات من اللبان على صدرها وعلى رأسها..... حين لبست أمي إيزارها، وألقت بهدبه المسلسل بسلسلة فضية، وساروت، ومنقاش"[1]

تطرق الكاتب من خلال ما سبق إلى طريقة المرأة التواتية الصحراوية في التزيين بعد فترة النفاس التي مرت بها وستتجنب التعليق المطول في هذا الموضع، لأنه لن يخرج عن حد نزع قوسي الاقتباس.

ومن جهة أخرى نجد الزيواني صور لنا المرأة الأم القائمة على شؤون البيت إلى جانب الرجل فهي التي تلد وتربي حيث يرسم لنا يوم ولادته وماعانته والدته من آلام أثناء الولادة يقول:" حين تقلصت عضلات رحم أمي وقدفت بي إلى هذا الوجود المبكي يا سادتي، أول شيء حاولت القيام به أني استهللت صارخا"[2]

ويقول أيضا:" كانت والدتي كان الله في عونها في هذه اللحظات الحاسمة، تتصبب عرقا وترسل أنينا خافتا، وتتنفس منفنفا، يصعد معها جسدها في شهيقه وينخفض في زفيره."[3]

فالكاتب هنا ينقل إلينا حالة الأم أثناء الولادة وما تعانيه من آلام حادة فهي مثال للصبر والتضحية.

كما يستوقفنا الكاتب عند صنف آخر من المرأة، فقد صور لنا المرأة المتشددة الفضولية والموسوسة بهواجس السحر والشعودة يقول في ذلك: " لقد كانت عمتي نفوسة شقيقة والدي، تخشى عليا وعلى شقيقها، أن يذهب حظنا من تلك السباخ والقواريط، والفقاقير....، مما جعلها تتعب أمي كثيرا بهواجس وساوسها لاسيما أن أمي قد

[1] المصدر السابق ، ص33، 34.

[2] المصدر نفسه ، ص15.

[3] المصدر نفسه ، ص18.

أصابتها عقدة وضع الحمل قبل أوانه.... فقاطعتها عمتي نفوسة بلهجة حادة، زادت من انقباض جبهتها وأساورها وأبرزت ماغار من عينيها، فترمد اصفرار لونها البشني، وقالت لأمي والرغوة مكشكشة عند نهاية شفتيها:

نريد الحجرة ولا نريد الطوبة "لأن الحجرة..... والطوبة لا ....."[1]

ومما سبق ذكره نجد أن الراوي قدم لنا صورة المرأة المؤمنة بالخرافات والمتمسكة بتراثها.

كما نقل إلينا الكاتب صورة الأنثى التي خذلتها التقاليد والأعراف، الأنثى المهمشة التي تعاني أحكام المجتمع التقليدي والمحرومة من أبسط حقوقها التي لا يسمع صوتها فهي حاضرة غائبة، جسد ذلك في الفتاة "مريمو" التي عانت الحرمان منذ ولادتها ، يستذكر لنا الراوي ذلك في قوله:" ونظرا لكون البنت عندنا لاحظ لها من الميراث، فقد كانت لا يسأل عن حالها ولا يلتفت إلى مرضها."[2]

أيضا كانت نظرة المجتمع التواتي للأنثى نظرة تحط من شأنها والتشاؤم ليوم مولدها فلم تحظ" مريمو" بالعناية التي حظي بها أخوها، فمن الرواية قول الراوي: "غير أنها لم تحظ بتلك العناية والحظوة التي حظيت بها في مراحل طفولتي الأولى، بالرغم من أنها الولد البكر للبيت."[3]

هذا ما جعل المجتمع التواتي يرتبط بالمجتمع الجاهلي قديما في تعامله مع الأنثى، فقد كانت لاترث ولم تكن تتجرأ على المطالبة بنصيبها من الميراث خضوعا للعادات والتقاليد.

سرد لنا " الزيواني" في جانب آخر من الرواية ما عانته البنت من حرمانها لمزاولة التعليم بالمدرسة فقد كانوا ينظرون إليه أمر محرم وممنوع على المرأة يقول:" أما تعليم أختي مريمو وتربياتها من بنات القصر، فإياك أن تتحدث عنه لأن تعليمهن بالمدرسة ، كان ينظر إليه على أنه أمر محرم"[4]

ومنه فالبنت في هذا المجتمع الصحراوي الذي حط من قيمتها لم تجد فيه حريتها وحظها.

---

[1] المصدر السابق، ص20.

[2] المصدر نفسه، ص44.

[3] المصدر نفسه، ص19.

[4] المصدر نفسه، ص73.

أيضا صور لنا الكاتب المرأة المنفلتة من عاداتها والمتحررة التي لا تخضع لسلطة العادات والتقاليد هذه الأنثى التي فتن بها الزيواني القاطنة بتونس كانت صورة للمرأة المثقفة والمتشبعة بثقافة غير الثقافة الصحراوية.

يقول الكاتب في ذلك:" تمشي خلفها فتاة..... لم تكن ترتدي قناعا كأختي مريمو وفتيات القصر من أندادها، إنها كانت ترتدي فستانا ضيقا على صدرها."[1]

إذن تعتبر المرأة في حياة سكان الصحراء شيء أساسي فهي امرأة قوية الشخصية لا بد من احترامها ولها من الجرئة والحياء حقها وكرامتها وقدرها من قدر مجتمعنا فهي تحتفظ بتراثها المادي والمعنوي والذي يفرض عليها الحشمة والوقار متمسكتا بأعرافها الداخلية ومسايرة لركب التطور في عصرنا الحالي، هي مثال للصبر والصمود في بيئتها ومجتمعها القاسي نوعا ما مقارنة بمناطق ومجتمعات مجاورة، فهي المرأة الريفية بنت الجزائر الأصيلة، التي أسهلت في بناء الوطن بصبرها وكفاحها.

فقد شغلت ثنائية الرجل والمرأة جانبا مهما في الرواية، فالتمييز الحاصل بين مكانة كل نوع (ذكر أو أنثى)، وحجم الدور الذي يتطلبه منه المجتمع، فمن المتوقع أن ينعكس ذلك على هذا الدور، ظهر الرجل في الرواية تارة بصورة الرجل المتعصب وثارة بصورة الرجل الأناني وطور أخر بصورة الولد المحظوظ.

كما عكست صورته جدلية مع المرأة تتراوح بين السلطة والخضوع، كما برزت المرأة هي الأخرى بصوة ربة بيت تهب حياتها لأسرتها ومرة أخرى تلك الفضولية وتارة تلك المرأة المنفتحة المتحررة وتارة هي المرأة المنكسرة والمهمشة تحت وطأة الرجل المتسلط.

2- حضور الأسطورة في رواية مملكة الزيوان:

تعرف الأسطورة بأنها أحد أهم فنون الأدب القصصي، وهي مزيج من الحقيقة والخيال، فهي لا تشير إلى زمن محدد بل إلى حقيقة أزلية، مؤلفها غير محدد وشخوصها عجائبيين كما يعرف فراس السواح الأسطورة على أنها

[1] المصدر السابق، ص100.

"حكاية مقدسة ذات مضمون عميق يستسقى من معاني ذات صلة بالكون والوجود والحياة وحياة الإنسان"[1] ومنه فالأسطورة لها صلة بحياة الإنسانية والمحيط والوجود.

كما ألهمت الأساطير والشخصيات الأسطورية الأدباء والشعراء والفنانين في كتاباتهم خاصة الأدباء الصحراويين أمثال إبراهيم الكوني والحبيب السائح والروائي الصديق حاج أحمد الزيواني الذي نلتمس أحد نصوصه بين أيدينا "رواية مملكة الزيوان"

ارتبطت الصحراء بالعالم الأسطوري حيث يتمسك فيه الإنسان الصحراوي بمعتقداته وعاداته وتقاليده وهذا ما نجده في روايتنا حيث نجد الأسطورة في عالم الجان وهو عالم غير مرئي ولذلك سمي الجان جان لاستثارهم وحقائقهم عن الأبصار فقد كانت حفرة لمرابط التي جسدت عالم الجن والعفاريت في الرواية.

وصف الكاتب الأسطورة في روايته كغيره من الأدباء فقد حوت مملكة الزيوان طرف من الخوارف الطقوس والعادات، مما يدل على تغلغل هذه المعتقدات في وعي أبناء الصحراء، فالقوة الخارقة موجودة في كل مكان من الصحراء ففي الرواية نجد من الكاتب قد صور لنا العالم اللا مرئي وأراد نقله إليها من خلال الطقوس الذي كان يقوم بها الطالب" أيقش" يقول:" وما إن بلغ نهاية ما وقر في قلبه وحدت به نفسه، حتى سمع صوتا نسويا لطيفا خفيفا يناديه من الداخل، فولج ولم يسمي بل تعمد فعل ذلك، لأن الطالب أيقش قد ذكره كذلك بعدم التسمية حينها لأن ذلك لا
محالة سوف يطرد الجن، فدخل غير مسم، فإذا هو أمام إمرأة باهرة الجمال، لا عين رأت ولا خطر ببال أحد، لم يرى بعالمه الإنسي الزيواني إمرأة فاتنة مثله، ومهما حاول أو إجتهد في وصف جمالها فلن يفلح بكل تأكيد"[2]

فمن الطقوس الواجب اتباعها عند حضور الجن عدم التسمية وذلك لتحقيق الغاية المراد بلوغها لأن التسمية تطرد الجن.

[1] فراس السواح: الأسطورة والمعنى، دراسات في الميتولوجيا والديانات المشرقية، منشورات دار علاء الدين دمشق، ط2: 2001، ص14.

[2] الصديق حاج أحمد الزيوان، مصدر سابق، ص8.

ويواصل الروائي قائلا: "تعد الدرويش توصيات الطالب أيقش وخرج ملتمسا في عوالم حفرة الرابطة الخفية حلا لحلمه وتحقيقا لعشقه.... حين اقترابه من المكان، لم يتفاجأ على أية حال بزوبعة رملية دائرية موجوجة، كسرت صمت المكان، وزادتهى رهبة إلى رهبته الأصلية، وقد ازداد يقينه بالطالب أيقش ساعتها، لحصول ما قد ذكر له آنفا، من أنه قرب وصوله للحفرة سوف يلاحظ حدوث تلك الزوبعة الرملية الدائرية، والتي كثيرا ما سمع عنها في أساطير عمته نفوسة، وأسطرة مخيال القصر الجمعي، وأنها من أمارات الجان والعفاريت".[1]

فقد نفد الدرويش تعاليم الطالب أيقش لبلوغ هدفه ومعرفة تاريخ قصره، وذلك عند دخوله حفرة الرابطة فهي حفرة شبه عميقة من عمقها الأفقي تشبه تماما مدخل كهف أو مغارة مخيفة، كما تعرف بالحفرة التي تخرج إليها المرأة المتوفى عنها زوجها، فبعدما كانت مكانا حقيقيا تحول إلى مكائن تخيلي يحمل في طياته الكثير من الصور والدلالات الشائعة في منطقة توات الصحراوية.

ومنه فقد جاء البعد الرمزي بدلالاته في رواية" مملكة الزيوان" في ظواهر إنسانية متعددة مرتبطة بصورة حياة الإنسان وطريقة تعامله مع الطبيعة المحيطة به، فالأسطورة تفضي على الكاتب الروائي بعدا جماليا ورمزيا، يتراوح بين الممكن والمحتمل بين الواقعي والمتخيل، كما يحيل إلى بعد آخر يتصف بالعجائبية فقد كان حضوره لافتا فهو يرتبط بالماضي والغيبي.

يربط بين الصحراء والأسطورة أكثر من رابط إذ يخلو مكان في الصحراء إلا وترتبط به الأساطير فمن الرمال إلى الجبال الصخرية إلى الواحات والآبار والكهوف حيثما تولي وجهك تجد تلاحم قائم بين الأسطورة و الصحراء.

الأسطورة في رواية الزيواني تعطي بعدا ميتافيزيقيا للسرد، وتمده بما يحتاج من بعد خيالي عجائبي.

[1] المصدر السابق، ص 6.

خاتمة

خاتمة

من خلال دراستنا لموضوع المتخيل الصحراوي في رواية "مملكة الزيوان" ل "صديق الحاج أحمد الزيواني" توصلنا إلى جملة من النتائج أهمها:

ـ المتخيل مصطلح يتداخل مع مصطلحات أخرى (خيال، تخييل)، فالخيال يمثل الصور والافكار في النفس، والمتخيل هو تجسيد لهذا الخيال، أما التخييل هو نتاج تفاعل المتلقي مع المبدع.

ـ المتخيل عنصر للإبداع يلجأ إليه الكاتب كتقنية لتكثيف الخيال في نصه.

ـ تعد الصحراء مصدر إلهام الكثير من الشعراء والأدباء على مر العصور فمنحوها مسافة واسعة في أعمالهم الأدبية.

ـ تزخر الصحراء بثقافتها الشعبية وعاداتها وتقاليدها اليومية والمناسبات.

ـ المجتمع الصحراوي رغم تعصبه للدين الإسلامي، وتمسكه إلا أنه لايزال يلجأ إلى السحر والشعودة ويأمن بالبدع والخرافات.

ـ استطاع الصديق حاج أحمد تقديم صورة عن مجتمع توات وطريقة تفاعله مع ثراث المنطقة.

ـ قدم الكاتب صورا متعددة وحضورا مكثفا للمرأة ومالها من دور في تشكيل قيم إجتماعية ونفسية وأخلاقية.

ـ بساطة المجتمع التواتي وإعتمادهم أدوات بسيطة في أعمالهم كإعتمادهم على النخلة، وتقديسها، وإتخادها مكون أساسي في حياتهم.

ـ ركز الروائي على المرأة المهمشة المحرومة من أبسط حقوقها.

ـ الإنسان يستمد ثقافته وحضارته من الصحراء، كالروائي "الصديق حاج أحمد" الذي كان ابن بيئته استطاع بقلمه أن يصور ويرجع إلى الماضي بكل دقة وصدق.

قائمة المصادر و المراجع

قائمة المصادر و المراجع:

- القرآن الكريم برواية حفص

- الحديث النبوي الشريف

1. أحكام القرآن لأبي بكر أحمد بن علي الرازي الجصاص ، دار الكتب العلمية بيروت لبنان ط1، 1415هـ .
2. رواه الألباني في سنن النسائي عن أم سلمة .
3. صحيح البخاري ترقيم مُحَمَّد عبد الباقي دار طوق النجاة ط1 ، 1422هـ .
4. صحيح البخاري كتاب لإستئناف باب الختان بعد الكبر و نتف الإبط حديث رقم 6298.

- المصادر

1. الصديق حاج أحمد الزيواني رواية مملكة الزيوان ، فضاءات للنشر و التوزيع ، عمان ، الأردن ، دط ، دت

- المراجع

1. آمنة بلعلي المتخيل في الرواية الجزائرية من المتماثل إلى المختلف دار الأمل للنشر و الطباعة و التوزيع ، تيزي وزو ، الجزائر ، ط1، 2007 .
2. الأخضر السائح صحراء الضمأ دار التنوير الجزائر ط1 ،2013.
3. الحسن الحايل، الخيال أداة الإبداع ، مكتبة المعارف، ط1 ، 1408هـ، 1988م .
4. حسين المودن الرواية و التحليل النصي، قراءات من منظور، التحليل النصي دار الأمان الرياض ،ط1. 2009
5. حسين خمري فضاء المتخيل، منشوراة الاختلاف الجزائر، ط1 , 2002 .
6. ديوان الامير عبد القادر، شح وتح ، ممدوح حقي ، دار اليقظة العربية للتأليف و الترجمة مطبعة ،دمشق، دط، دت.
7. ديوان إمرؤ القيس، سر عبد الرحمن مصطاوي دار المعرفة ،بيروت لبنان ، ط2 ،2004.
8. رشيد بوجدرة ،تيمون ، المؤسسة الوطنية للإتصال و النشر و الإشهار دالي إبراهيم ، الجزائر ، ط1 ،1994
9. صلاح صالح الرواية العربية و الصحراء، منشورات وزارة الثقافة، دمشق سوريا، ط1 ،1996.
10. صلاح عيد ، التخييل نظرية الشعر العربي، مكتبة الأداب ، القاهرة ، مصر ،ط1 ، 1993.
11. عفيف فراج.المرأة بين الفكر و الإبداع دار الآداب للنشر و التوزيع، بيروت لبنان،ط1، 2009.
12. فاروق أحمد مصطفى مرفت عشماوي، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية، مصر ، دط، 2011.

13. فراس ، السواح الاسطورة و المعنى ، دراسات في الميتولوجياو الديانات المشرقية منشورات دار علاء الدين دمشق ط2 ،2001.

14. مُحَمَّد البار، الختان، دار المنارة للنشر و التوزيع جدة ، مكة، ط1, 1411هـ، 1994م .

15. مُحَمَّد الجوهري، الدراسة العلمية للمعتقدات الشعبية ، دار الكتاب للتوزيع، القاهرة، ط1 ،1978.

16. مُحَمَّد عزام ، المصطلح النقدي في التراث الأدبي العربي دار الشرق العربي، بيروت، لبنان دط، دت ،

17. مُحَمَّد متولي الشعراوي قصص الانبياء دار حسن مُحَمَّد، مصر، دط ،2006.

18. مهدي النجار الانثى_الجنس في الاديولوجيا العربية دراسات دار الطليعة،بيروت ،ط3،جانفي 1989.

19. ميرال الطحراوي محرمات قبلية المقدس و تخيلاته في المجتمع الرعوي روائيا ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 2008.

20. نادر أحمد ، عبد الخالق ، المتخيل التعبيري دراسة مقارنة في الصورة و القصيدة ديوان أدخل جسدي أدخلكم لصورة الشاعرة وفاء عبد الرزاق أنموذجا ، دط، دت .

21. وليد بن حمد الذهلي جمالية الصحراء في الرواية العربية ، إبراهيم الكوني أنموذجا، دار حرير للنشر و التوزيع عمان ، الأردن , ط1 ، 2013.

-المجلات و الدوريات

1. بليلي عواطف، جديد صالح رمزية المكان الصحراوي في الرواية العربية رواية الدرويش يعودون إلى المنفى لإبراهيم الدرغوثي أنموذجا جامعة الشادلي بن جديد ،طارف ،الجزائر مجلة إشكالات في اللغة و الأدب ، مجلد9 العدد 5، 2020

2. جميلة طلباوي ، الصحراء في الرواية الجزائرية البدايات النازفة و الإنتباه المتأخر النصر المجلد 37، العدد1،السنة 2 نوفمبر 2020 .

3. حسين بوحسون ، فضاء الصحراء جدل المكان و الإنسان، مجلة دراسات جامعية ، بشار الجزائر ،العدد الثاني ديسمبر2012

4. حمدي يحظيه المرأة الصحراوية صورة المرأة الصحراوية في الثقافة الشعبية، العدد 2 ،الجزائر 2018.

5. سليمان قوراري تجليات عالم الصحراء في النص الروائي الجزائري مملكة الزيوان أنموذجا مجلة سارب الالكترونية.

6. عثمان التقافي الصحراء التفاعل الاجتماعي و تشكيل الهوية ، مجلد 7 , العدد3 ، 29 مارس 2023

7. عدلي الهواري بحث التخيل عند جازم القرطاجي ، مجلة ثقافية فصلية المجلد 6 العدد 66 ، دط ، 2011.

8. محمود بن حمود عبد القادر شاعة ، حقوق الملكية الصناعية للمنتوجات التقليدة و الحرفية دراسة منتوج الزربية في الجزائر مجلة الاستراتيجية و التنمية، المجلد 12 العدد 1، جانفي 2020

9. لزهر مساعدة في مفهوم الثقافة و بعض مكوناتها (العادات و التقاليد ، الاعراف) مجلة الداكرة مخبر التراث الأدبي في الجنوب الشرقي الجزائري ، ميلة الجزائر ، دط ، 2017.

10. نفيسة دويدة المعتقدات و الطقوس الخاصة بالأضرحة في الجزائر خلال الفترة العثمانية ،المجلة الجزائرية في الانثربولوجيا و العلوم الإجتماعية المجلد 11، العدد 43، 2015.

11. هشام مُحَمَّد عبد الله اشتغال العتبات في الرواية(من أنت أيها الملاك) دراسات في المسكوت عنه كلية التربية قسم اللغة العربية مجلة ديالي ،العدد 47 ،2010

– المعاجم و القواميس

1. ابن فارس مقاييس اللغة،تح، عبد السلام مُحَمَّد هارون، مادة خيل،مج،دار الجبل بيروت ،دط ، دت .
2. ابن منظور لسان العرب .(مادة خيل) ، دار صادر بيروت لبنان دط ، 1997.
3. إبن القاسم مُحَمَّد بن عمر الزمخشري ، أساس البلاغة ، دار النفاس للطباعة و النشر و التوزيع بيروت ،ط1 2009.
4. أحمد بن نعمان المفتاح دار الأمة للطباعة و النشر و التوزيع ، برج الكيفان الجزائر ، دم ،دج،ط1 ،2001.
5. الزبيدي : تاج العروس ، تج، مصطفى حجازي مطبعة حكومة الكويت ، ج12 ،1973.
6. الفيروز أبادي القاموس المحيط ، تج، مُحَمَّد نعيم العرتومي مؤسسة الرسالة ، بيروت لبنان ،ط8 ،2005.
7. جبران مسعود رائد الطلاب، دار العلم للملايين، مؤسسة ثقافية لتأليف و الترجمة و النشر بيروت ، لبنان ، ط34، 2007.
8. عصام نور الدين الوسيط ، دار الكتاب العلمي
9. علي بن معاوية بلحسن ، البلنش الجيلالي بن الحاج يحيى ، قاموس الجديد للطلاب ،دج، دم ، المؤسسة للكتاب الحزائر، ط7، 1991.

–الرسائل الجامعية

1. فائزة بن خليفة ، مصطلح الخطاب و المتخيل عند مُحَمَّد لطفي اليوسفي مذكرة ماجيستار مخطوطة ، 2011، 2012

2. مُحَمَّد صديق حسن عبد الوهاب الصحراء في الشعر الجاهلي بحث مقدم لنيل درجة الدكتورة في الأدب والنقد تحت اشراف د عبد الرحمن عطا المنان ، قسم الدراسات الأدبية و الفنية كلية الدراسات العربية جامعة أم درمان الإسلامية أم درمان السودان، 2007 ,2008.

3. وردة لواتي ، المتخيل الديني في الرواية الإفريقية أعمال تشينوا تشيبي أنموذجا أطروحة لنيل شهادة الدكتوراة في العلوم ، تحت اشراف د عزوز قربوع قسم اللغة و الأدب العربي، كلية الأداب و اللغات الجامعة 20 أوت 1955, سكيكدة الجزائر ،2019, 2020

– أعمال ملتقيات

•الطيب لسلوس مداخلات المنجز السردي للسعيد بوطاجين الملتقى الوطني الثالث للكتابة السردية تحت شعار السرد و الصحراء دار الثقافة لولاية أدرار الجزائر ،2014.

– المواقع

1. الوليمة 10 ماي 2023. 30 د: سا14
.www: Blog .Fj. khahr com
2. عثمان التقافي الصحراء التفاعل الاجتماعي و تشكيل الهوية
www://omandailv .com
3. وزارة الصحة: صحة الطفل الختان، 7مارس 2019
https ://www.moh.gov.sa
4. مُحَمَّد الكبش، مدونات لتلك المرأة سأنحني، الجزيرة،2017.
httDS://www.alizeera.net

حصص تلفزونية

قناة الشروق لقاء صحفي مع الكاتب الصديق حاج وأحمد الزيواني الجزائر 11 أفريل 2018.

ملخص المذكرة

ملخص المذكرة

ارتأينا في هذه الدراسة التي عنوانها المتخيل الصحراوي في مملكة الزيوان "لصديق حاج أحمد (الزيواني) " . التي كانت دراسة موضوعاته عالجنا من خلالها مكونات الصحراء، ومن أجل الوصول إلى الأهداف المسطرة اتبعنا منهج ارتأينا أنه الأوفق وذلك من حيث تقسيمنا إلى قسمين نظري وتطبيقي .

حيث خصصنا الفصل الأول للجانب النظري، تناولنا فيه مصطلح المتخيل و الذي بدوره يتداخل مع مصطلحات أخرى (خيال ، تخيل)، وأيضا مصطلح الصحراء ثم تطرقنا إلى المتخيل الصحراوي ومكوناته التي تتمثل في الطبيعة والعادات والتقاليد، بالإضافة إلى الإنسان والتي خصصنا (الرجل، المرأة) ، ثم انتقلنا عنصر آخر حضور الصحراء في الأدب من شعر ونثر، وفي الأخير تطرقنا إلى جدلية الرجل والمرأة.

ثم انتقلنا إلى الجانب التطبيقي والذي كان يضم دراسات للمتخيل الصحراوي في الرواية من خلال موضوع الصحراء و مكوناتها التي رصدها لنا الزيواني في روايته، في البداية تطرقنا إلى الطبيعة كونها مكون مهم.

بعدها انتقلنا إلى دراسة مكون آخر وهو العادات والتقاليد ، لأن المجتمع الصحراوي متمسكا بعاداته وتقاليده والتي رصدها لنا الزيواني في الرواية حيث تمثلت في طقوس الولادة، الختان والموت بالإضافة إلى لجوئهم لسحر وزيارتهم الأولياء الصالحين كما تحلهم بكرم الضيافة وتميزهم بمسكنهم الطيني و لهجتهم التواتية، بالإضافة إلى استعمال الأغنية الشعبية في أغلب مناسباتهم وأيضا الأمثال في المواقف. لنأتي بعدها لدراسة الإنسان ونخص بالذكر جدلية الرجل والمرأة و كيفية تصوريهما في الرواية، وفي الأخير تطرقنا إلى الأسطورة وطريقة توظيفها في الرواية.

Research Summary

In this study, we considered the desert imaginary in the Kingdom of Al-Ziwan, "by Siddig Haj Ahmed (Al-Ziwani)." Which was a thematic study through which we dealt with the components of the desert, and in order to reach the ruling goals, we followed an approach that we thought was the most appropriate, in terms of dividing us into two parts, theoretical and applied.

Where we devoted the first chapter to the aspect with other terms (imagination, imagination), and also the term desert, then we touched on the desert imagination and its components, which are represented in nature, customs and traditions, in addition to the human being, which we allocated (man, woman), then we moved to another element The presence of the desert in literature in poetry and prose, and in the end we touched on the dialectic of men and women.

Then we moved to the applied side, which included studies of the desert imagination in the novel through the subject of the desert and its components that Al-Zaywani monitored for us in his novel. At the beginning, we touched on nature as an important component.

Then we moved to the study of another component, which is the customs and traditions, because the desert society clings to its customs and traditions, which Al-Zaywani monitored for us in the novel, as it was represented in the rituals of birth, circumcision and death, in addition to their resorting to magic and their visit to the righteous saints, as well as their hospitality and distinction in their homes. Al-Tini and their Tawatian dialect, in addition to the use of popular songs in most of their occasions, as well as proverbs in situations. Let us then come to the study of the human being, and we will specifically mention the dialectic of the man and the woman and how they are portrayed in the novel. Finally, we touched on the myth and the way it is used in the novel.

الملاحق

ملخص رواية مملكة الزيوان:

مملكة الزيوان، حكاية توات قبل أن تفتسل من طينها، لمؤلفها الصديق حاج أحمد تجربة روائية تحكي لنا قصة مجتمع توات. في هذه الرواية نجد الزيواني يغوص بنا في أعماق الصحراء بإكتشافه هذا العالم الذي يعد غريبا عليه في بداية الأمر ففي البداية تحدث لنا الراوي عن يوم مولده والإستقبال البهيج الذي حضي به من قبل عائلته كونه الولد المنتظر بعد سبع سنوات، كما ذكر لنا بعض الطقوس والعادات والتقاليد التي كانت سائدة في المجتمع التواتي، من بينها طقوس الولادة، الختان، زيارة الأولياء الصالحين، طقوس الموت.... إلخ. وينقلنا الكاتب إلى مرحلة مهمة في حياته هي مرحلة دخوله إلى الكتاب لتعلم القرآن وإلتحاقه بالمدرسة، حيث قوبلت هذه الأخيرة بالرفض من طرف بعض سكان المنطقة في حين تقبلها البعض الآخر وإعتبرها أمر إيجابي من بينهم والد الزيواني الذي حرص على إلتحاق إبنه بالمدرسة الإبتدائية والإعدادية وحتى الثانوية وصولا إلى الجامعة وحصوله على شهادة في تخصص تاريخ.

ثم سرد لنا الروائي فترة مجيء الثورة الزراعية المنطقة وما أحدثته من خسائر وخصومات بين سكان المنطقة بحيث هناك من خسر أراضيه وممتلكاته في الوقت نفسه من كان لا يملك شيء فأصبح يملك كل شيء. قامو بإحصاء الممتلكات فأعطو النسبة الكبيرة لعائلة الداعلي بعد ما كانت ملكا لعائلة الزيواني، ومن هنا بدأ الخلاف مابين العائلتين والأصدقاء ليذهب كل واحد منهما في طريقه.

كذلك تحدتث الرواية عن قضية البنت المهمشة المحرومة من أبسط حقوقها.فقد كانو يتشاءمون ليوم مولدها، كونها طوبى لا ترث.

كما سرد لنا الزيواني حبه لأميراز إبنة عمه الغيواني التي إختارها شريكة حياته، وما تلقاه من مشاكل وصعوبات خلال هذه الفترة.

فالروائي الصديق حاج أحمد نقل لنا تاريخ منطقة توات بأدرار حيث رصد لنا كل التحولات التي مر بها المجتمع التواتي من بداية الستينيات حتى نهاية الثمانينيات في صورة دقيقة وصادقة تعكس أصالة وثراث وهوية المنطقة.

السيرة الذاتية للروائية:

الصديق حاج أحمد الملقب بالزيواني ولد في أدرار بالجزائر في 19 ديسمبر عام 1967م نشأ بالوسط القصوري الطيني الواحاتي بالصحراء بمسقط رأسه زاوية الشيخ المغيلي بولاية أدرار، تلقى تعليمة القرأني بداية بكتاب القصر على يد شيخه الحاج أحمد الحسنين الأمراوي، وتدرج في التعليم النظام حيث تحصل على البكالوريا، والليسانس والماجستير والدكتوراة يشتغل كأستاذ محاضر لمقياس اللسانيات وفقه اللغة بجامعة أدرار تقلد عدة مهام بالجامعة منها نائب عميد كلية الأداب واللغات لمدة سنتين ليفرغ بعدها للتدريس والبحث والإبداع مشارك دائم بالصحافة العربية لاسيما الجريدة العربية اللندنية ومجلة الجريدة اللندنية.

لصديق أحمد عدة أعمال من بينها:

_ التاريخ الثقافي لإقليم توات 2003.

_ مُحَمَّد بن بادي الكنتي حياته وأثاره 2009.

_ رواية مملكة الزيوان 2013.

_ كاما راد رفيق الحيف والضياع 2015.

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

..... 2

مقدمة..... أ

الفصل الأول: الإطار النظري للمتخيل الصحراوي:..... 5

تمهيد..... 5

I- بحث في المصطلح:..... 5

1-تعريف الخيال.....5

2-تعريف التخييل.....8

3-تعريف المتخييل..... 11

II-المتخيل الصحراوي..... 14

1-تعريف الصحراء..... 15

2-الطبيعة، العادات والتقاليد.....21

3-الإنسان (رجل ، إمرأة)..... 22

III- حضور المتخيل الصحراوي في الأدب 24

1-الشعر.....24

2-في النثر.....28

3-جدلية الرجل و المرأة.....34

الفصل الثاني:تمظهرات المتخيل الصحراوي في رواية مملكة الزيوان 38

تمهيد : 38

I- دراسة المتخيل الصحراوي في الرواية الجزائرية:..... 39

1-موضوعة الطبيعة في الرواية.....39

2-موضوعات العادات والتقاليد في الرواية.....45

II- دراسة الإنسان و تجلي الأسطورة في الرواية..... 70

1-جدلية الرجل والمرأة في الرواية.....70

2-حضور الأسطورة في رواية مملكة الزيوان:..... 76

خاتمة..... 80
قائمة المصادر و المراجع: 82
ملخص المذكرة 87
الملاحق..... 88